

أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس

دراسة شرعية نفسية حول تفعيل المسلم لنفع إخوانه والنهوض بمجتمعه وأمته

تأليف الدكتور

عماد علي عبد السميع حسين

دكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية



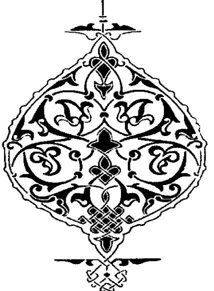




الطبعة الأولى ٢٠٠٨

رقم الإيداع
٢٠٠٧/٨٨٣٠

الترقيم الدولي
977-331-455-3





١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٠٥٤١١٩١٠ - ٠٥٢٢٢٠٠٢
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] يقول الله تعالى : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة :٢] .

[٢] عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً جاء إلى النَّبيّ ﷺ فقال : أي الناس أحب إلى الله، وأي الأعمال أحب إلى الله ؟، قال : « **أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله : سرور يدخله على مسلم ، أو يكشف عنه كربة ، أو يقضي عنه دَيْنًا ، أو يطرد عنه جوعًا . . .** » .

[السلسلة الصحيحة ٩٠٦] .

[٣] قال رسول الله ﷺ : « **من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل** » ، وفي رواية « **فلينفعه** » .

[مسلم ٢١٩٩] .



مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، له الحمد في الأولى والآخرة ، وصف نفسه بأنه الغفور الودود فقال : ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ﴾ [البروج : ١٤] ، ووصفه أنبياؤه خير من عرفوا عظيم مودته ومحبته ، فقال شعيب عليه السلام : ﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود : ٩٠] ، سبحانه، يحب أهل طاعته ، ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٣١] ، ووعد أحبابه بأن يُلقي حبهم في قلوب الناس ، ويكتب لهم القبول ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦) ﴾ [مريم : ٩٦] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ ، أحبُّ خلق الله إلى الله ، القائل : « **أحب الخلق إلى الله أنفعهم للناس** ... » [١] ، فاللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى آله ، وارض عن جميع أصحابه ، وعنَّا معهم يا أرحم الراحمين .

أما بعد :

فإن ديننا الحنيف تنبني تشريعاته على مجموعة من المقاصد والحِكم ، أكثرها تهدف إلى تحقيق وحفظ مصالح الناس العامة ، بجلب المنافع لهم ودرء المفاسد عنهم، « وهذا يعني أن الأعمال الشرعية ليست مقصودة في ذاتها ، وإنما قصد منها تحقيق المصالح التي شرعت لها » [٢] .

❁ وهذا ما أكده الإمام العزّ بن عبد السلام بقوله :« والشريعة كلها مصالح : إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح »[٣]،وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال :

(١) السلسلة الصحيحة للألباني برقم ٩٠٦ .
(٢) انظر : الشاطبي : الموافقات ٢ / ٣٨٥ .
(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١ / ١١ .

« إن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها »[١] .

✿ ولقد جاءت شريعتنا الغراء - أيضًا - وهي تُقدِّم المصلحة العامة للجماعة على المصلحة الفردية ، لأن المصلحة العامة يَعـمُّ نفعها كل أفراد المجتمع ، وأما المصلحة الخاصة فقد لا يتجاوز نفعها مَنْ حصلت له .

✿ وهذه المقاصد الشرعية العظيمة لابد لها من وسائل لتحقيقها والوصول إليها ، ومن رحمة الله - تعالى - أنه وضَّح المقاصد والوسائل ، ومع هذا التوضيح الشافي الكافي : ترغيب وترهيب لتحقيق المصالح والمنافع، ودفع المفاسد والمضار.

✿ **فعلى سبيل المثال :** تعليم الناس ومَحْو جهالتهم ، مقصد شرعي من أهم المقاصد ، ومصلحة ومنفعة راجحة كل الرجحان ، جاءت عشرات الأحاديث النبوية الشريفة تُرغِّب في تحقيق هذا المقصد ، وترفع شأن من يحقق هذا المقصد وتُعظِّم أجره ، ومثلها أحاديث تُحذِّر من إهمال تحقيق هذا المقصد ، بكتمان العلم أو عدم البيان .

✿ **مثال آخر :** توفير القوت لعيش آمن رغد ، بعيداً عن المجاعات ... مقصد هام - أيضًا - جاءت عشرات النصوص الشرعية التي ترغّب في تحقيقه ، بالحثّ على الزرع وإصلاح الأرض الموات ، وتنهى عن إتلاف الأراضي الصالحة .

✿ **مثال آخر :** توفير الأمن والاستقرار والنظام للمجتمع ، بالأخذ على أيدي العابثين والظالمين ، ونصرة المظلومين ودفع الظلم عنهم ، وإقامة العدل ، مقصد شرعي في غاية الأهمية ، ورد فيه العديد من النصوص ترغيبًا وترهيبًا من أجل دفع الناس إلى تحقيقه والحذر من إهماله وتضييعه .

✿ وهكذا نجد الشريعة - الغراء - تحيط المقاصد والوسائل بهذا المنهج التربوي العميق، في دعوة الناس لتحقيق هذه المقاصد الشرعية لتحصيل المصالح والمنافع، ودرء المفاسد ،وهذا كله لتوفير جوّ مناسب للإنسان المؤمن ليعبد الله تعالى بكل

---
(١) مجموع الفتاوى ٢٠/٤٨ .

ما ارتضاه وشرعه من العبادة،علماً بأن المقاصد ووسائلها تعتبر من العبادات أيضاً .

❁ والمتتبع للتراث الضخم عندنا يجد كثيراً من الكتب التي قد ركّزت على جمع النصوص في هذا الجانب - أعني الترغيب والترهيب - لتوفير وجبة علمية غزيرة لدفع الناس وتفعيلهم ، نحو تحقيق المصالح والمنافع ، ودرء المفاسد والمضار ، ومن ذلك « الترغيب والترهيب للحافظ المنذري ، الأدب المفرد للبخاري ، المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح للدمياطي ، الكبائر للذهبي ، رياض الصالحين للنووي ، قضاء حوائج الناس لابن أبي الدنيا . . . وغير ذلك » .

ولعل أهمها على الإطلاق كتاب : الترغيب والترهيب للمنذري، والذي قال عنه الشيخ الألباني - رحمه الله - « إنه ليس بخافٍ على أحد من أهل العلم أن كتاب الترغيب والترهيب ، هو أجمع وأنفع ما أُلِّفَ في موضوعه ، فقد أحاط فيه - أو كاد - بما تفرق في بطون الكتب الستة وغيرها من أحاديث الترغيب والترهيب في مختلف أبواب الشريعة الغراء . . . مما لا يكاد يستغني عنه واعظ أو مرشد ولا خطيب أو مدرس ، وقد أجاد ترتيبه وتصنيفه ؛ وأحسن جمعه وتأليفه ، فاستحق بذلك أن يصفه الحافظ الذهبي النَّقاد : بأنه كتاب نفيس » [١] .

❁ وبالتالي لو وُجِدت دراسات تُعني بالدمج بين المقاصد الشرعية « كناحية أصولية » وبين المادة الغزيرة الواردة في السُّنَّة النبوية ، في أسلوب وعظي ، يخاطب القلوب بعيداً عن المنهجيات الجافة في كثير من الأحيان ، لربما كان لمثل هذه الدراسات أثر جَيِّد في تفعيل الأُمَّة نحو فعل الخير العام والخاص ، وتحقيق المقاصد الشرعية المحترمة .

❁ ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة المتواضعة ، من ذي جهد مُقِلّ ، جعلتُ الأصل فيها : الإرشاد إلى الأعمال التي تحقق النفع العام لأفراد المجتمع ، وفي نفس الوقت تقرّبهم إلى الله - تعالى - ،وقد جمع هذا الأصل قولُ النَّبيّ ﷺ :

---

(١) **انظر** : مقدمة الشيخ الألباني على صحيح الترغيب والترهيب ١ / ٣٥ ، ٣٦ .

« أحب الخلق إلى الله أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم ... » [١] .

❁ **والملاحظ :** أن من المهم أن يعرف الإنسان المدعو للعمل وللنفع ، موقع العمل الذي يُدعى للقيام به من الأحكام الشرعية ، حتى يحدّد أولوياته واهتماماته في العمل ، بقدر الإمكان .

❁ وأهم الأعمال ما كان في موقع الوجوب ، ينبغي أن يُبادَر للقيام به ، والواجب له تقسيمات بعدة اعتبارات،يعنينا هنا تقسيمه باعتبار المكلف بأدائه، وينقسم إلى قسمين : واجب عيني ، وواجب كفائي ، وفي الغالب كانت المنفعة المترتبة على القيام بالواجبات العينية مصلحة فردية تعود على من قام به فقط ، لأنها شُرعت لابتلاء المكلفين ، فإن قاموا بها كان نفعها لهم ، وإن قصّروا كان الوزر عليهم ، وأما الواجبات الكفائية ، فإن تحقيقها يحقق المصلحة العامة، ومتى تحققت المصلحة العامة برئت ذمة المكلفين جميعًا [٢] .

❁ **ونخلص من هذا :** إلى أن الأُمة لو حرصت على إحياء الواجبات الكفائية وفهمت حدودها فهمًا دقيقًا ، لوجدت المخارج لحلّ أزماتها ، ولنهضت في شتى مجالات الإصلاح والتنمية ، ولكن هذا يحتاج لبلوغه إلى جهود وحملات مكثفة من التوعية الصادقة ، من الكُتّاب والمفكّرين والإعلاميين والخطباء والمدرسين ... في كافة القطاعات .

وجدير بالذّكر أنني قد شاركت في إجراء دراسة ميدانية قامت بها مؤسسة أنداء للإنتاج الفني والتوزيع،لاستطلاع مدى جاهزية واستعداد المجتمع للتفاعل ، وكانت النتائج بفضل الله مبهرة للغاية ، تشير إلى أن معدّل الجاهزية والاستعداد مرتفع [٣] ، فالناس بحاجة إلى من يُفعّلهم باستمرار ، ويتابع سيرهم بالتوجيه

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) انظر : د. عبد الباقي عبد الكبير : إحياء الفروض الكفائية ... ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٣) سيأتي عرض شامل لنتائج تلك الدراسة في هذا البحث .

والتخطيط ، بحاجة إلى قائد يحسن قيادتهم في كافة المجالات ، ويتحلى بصفات القائد ، والتي من أهمها إنكار الذات، وهذا ما يركز دائمًا كثير من الإخوة الأفاضل من الدعاة اليوم عليه في تفعيل الأُمَّة .

وقد اخترت عنوان هذا الكتاب [أحبهم أنفعهم] ، تيمنًا بكلام النَّبيّ ﷺ وقسمته إلى عشرين مبحث وخاتمة :

المبحث الأول : شحنه نبوية لتفعيل المسلم نحو نفع إخوانه بما يستطيع .

المبحث الثاني : هل تدري معنى « أحب الخلق إلى الله ؟ » .

المبحث الثالث : ثمرات محبة الله تعالى .

المبحث الرابع : إحياء الواجبات الكفائية وأثره في نفع الأمة .

المبحث الخامس : نفع الناس بالتعليم لمحو جهالتهم .

المبحث السادس : نفع الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المبحث السابع : نفع الناس بتوعيتهم وتصحيح المفاهيم لهم .

المبحث الثامن : نفع الناس بالزرع والغرس .

المبحث التاسع : نفع الناس بمواساتهم وإعانتهم في أمراضهم .

المبحث العاشر : نفع الناس بقضاء ديونهم والتجاوز عنهم .

المبحث الحادي عشر : نفع الناس بستر عوراتهم .

المبحث الثاني عشر : نفع المسلمين بالدعاء لهم بظهر الغيب .

المبحث الثالث عشر : نفع الناس بإماطة الأذى عن الأماكن العامة .

المبحث الرابع عشر : نفع الناس بإقامة الحدود لتوفير الأمن لهم .

المبحث الخامس عشر : نفع الناس بالإصلاح بينهم .

المبحث السادس عشر : نفع الناس بدفع الظلم عنهم .

المبحث السابع عشر : نفع الناس بالشفاعة لهم .

المبحث الثامن عشر : نفع الناس بحسن المعاملة .

المبحث التاسع عشر : نفع الناس بكف الأذى عنهم .

المبحث العشـــرون : عرض للدراسة الميدانية .

الخاتمة : سجلت بها أهم النتائج والتوصيات .

وأسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى ، أن يغفر لنا ، وأن يتجاوز عنَّا ، وأن يجعلنا مفاتيح للخير ، مغاليق للشر ، وأن يرزقنا صدْق القول والعمل ، ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

كتبه الفقير إلى عفو ربـــه المنان

أبـــو علـــيّ

عماد علي عبد السميع حسين

دكتوراه في أصول الدين والدعوة الإسلامية من جامعة الأزهر

رئيس قسم علوم القرآن بكلية العلوم الإسلامية

المبحث الأول

شحنة نبوية لتفعيل دور المسلم نحو نفع إخوانه بما يستطيع

إن كلام المصطفى ﷺ عند المسلم صاحب اليقين في أنه لا ينطق عن الهوى، من شأنه أن يُفعِّله تفعيلاً ويدفعه دفعًا إلى التزام أوامره وطاعته ، ومعلوم لدى الجميع كيف كان كلام رسول الله ﷺ يفعل في سلفنا الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ وكيف كانوا يتسابقون ويتنافسون في العمل به .

وسأسوق لك هنا ـ أخي الحبيب ـ بعض أقواله ﷺ التي يحث فيها على نفع الآخرين ، وبذل المعروف إليهم ، فمن ذلك :

[١] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً جاء إلى النَّبي ﷺ فقال : يا رسول الله،أي الناس أحب إلى الله ؟،وأي الأعمال أحب إلى الله؟، فقال رسول الله ﷺ : « **أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله سرور يدخله على مسلم ، أو يكشف عنه كربة ، أو يقضي عنه دينًا ، أو تطرد عنه جوعًا ، ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد** ـ يعني مسجد المدينة ـ **شهرًا ،ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له، أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام**»(١) .

[٢] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من نفَّس عن مؤمن كربة من كُرَب الدنيا نَفَّس الله عنه كربة من كُرَب يوم القيامة ، ومن يسَّر على مُعْسِر يَسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلمًا ستره الله في**

---

(١) أخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٠٦) ، وقال : أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٠٩/ ٢) ، وابن عساكر في التاريخ (١٨/ ١/ ٢) .

الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه »(١) .

[٣] وعن أبي ذر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق** »(٢) .

[٤] وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **تبسمك في وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشاد الرجل في أرض الضلالة لك صدقة ، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة** »(٣) .

[٥] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بينما نحن في سفر مع النَّبيّ ﷺ إذ جاءه رجل على راحلة له ، فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالاً ، فقال رسول الله ﷺ : « **من كان معه فضلُ ظهر فليعُد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضلٌ من زاد فليعد به على من لا زاد له** » ، فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حقَّ لأحدٍ منا في فضل(٤) .

[٦] وعن أبي موسى رضي الله عنه ،عن النَّبيّ ﷺ قال: « **على كل مسلم صدقة** ، قال: رأيت إن لم يجد ؟ ، **قال : يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق** ، قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ ، **قال : يعين ذا الحاجة الملهوف** ، قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ ، **قال : يأمر بالمعروف أو الخير** ، قال : أرأيت إن لم يفعل ؟ ، **قال : يمسك عن الشر فإنها صدقة** »(٥) .

[٧] وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النَّبيّ ﷺ قال : « **ما من مسلم يغرس**

---

(١) مسلم برقم (٢٦٩٩) ، والترمذ ي برقم (٤٠١٥) .

(٢) صحيح المتجر الرابح برقم (٩٩٥) (وعزاه إلى مسلم) ، ط. دار ابن حزم ، بيروت ٢٠٠١م ، تحقيق زكريا ابن غلام قادر الباكستاني .

(٣) صحيح المتجر الرابح برقم (٩٩٦) وعزاه إلى الترمذي وقال : « حديث حسن » .

(٤) مسلم برقم (١٧٢٨) .

(٥) مسلم برقم (١٠٠٨) ك الزكاة .

غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة » (١) ، وفي رواية : « وما سُرق منه له صدقة ، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة » (٢) .

[٨] وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النَّبيّ قال : « لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين » (٣) ، وفي رواية : « مرَّ رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال : والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم ، فأُدخل الجنة » (٤) ، وفي رواية « بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق ، فأخَّره فشكر الله له فغفر له » (٥) .

[٩] وعن أبي أُمامة عُدَيٍّ بن عجلان رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك ، وأن تمسكه شر لك ، ولا تُلام على كفاف ، وابدأ بمن تعول ، واليد العُليا خيرٌ من اليد السفلى » (٦) .

[١٠] وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النَّبيّ ﷺ قال : « بينما رجل يمشي بفلاة من الأرض فسمع صوتًا في سحابة : اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرَّة فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله ، فتتبع الماء فإذا رجل قائمٌ في حديقته يحوِّل الماء بمسحاته ، فقال له : يا عبد الله ، ما اسمك؟ ، قال : فلان ، للاسم الذي سمع به في السحابة ، فقال له : يا عبد الله لِمَ تسألني عن اسمي؟ ، فقال : إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول :اسق حديقة فلانٍ ،لاسمك ، فما تصنع فيها ؟ ، فقال : أما إذا قلت هذا ، فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثًا ، وأرد فيها ثلثه » (٧) .

---

(١) مسلم برقم (١٥٥٢) ك المساقاة .
(٢) مسلم برقم (١٥٥٢) ك المساقاة .
(٣) مسلم برقم (٢٦١٧) ك البر والصلة .
(٤) مسلم برقم (٢٦١٧) ك البر والصلة .
(٥) مسلم برقم (١٩١٤) ك الإمارة .
(٦) مسلم برقم (١٠٣٦) ك الزكاة .
(٧) مسلم برقم (٢٩٨٤) ك الزهد والرقائق .

[١١] وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال : لدغت رجلاً منا عقربٌ ونحن جلوس عند رسول الله ﷺ ، فقال رجل : يا رسول الله ، أَرْقي ؟ ، قال : من «**استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل** » (١) ، وفي رواية « **فلينفعه** » (٢) .

[١٢] وعن أبي برزة رضي الله عنه، قال : قلت : يا نبي الله ، علِّمني شيئًا أنتفع به ، قال ﷺ : « **اعزل الأذى عن طريق المسلمين** » (٣) .

[١٣] وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النَّبيّ ﷺ : « **عُرضت عليَّ أعمال أُمَّتي حسنُها وسيئُها ، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق ، ووجدت في مساوئ أعمالها النخامة تكون في المسجد لا تُدفن** » (٤) .

[١٤] قال رسول الله ﷺ : « **من أخرج من طريق المسلمين شيئًا يؤذيهم كتب الله له به حسنة ، ومن كُتب له عنده حسنة أدخله بها الجنة** » (٥) .

[١٥] وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النَّبيّ ﷺ قال: « **من ستر عورة أخيه ستر الله عورته يوم القيامة ، ومن كشف عورة أخيه المسلم ، كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته** » (٦) .

[١٦] وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : صعد رسول الله ﷺ فنادى بصوت رفيع فقال : « **يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُفْض الإيمان إلى قلبه ، لا تؤذوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم ، تتبع الله عورته ، ومن تتبع عورته يفضحه ولو في جوف رحله** » (٧) .

[١٧] وعن مسلمة بن مُخلَّد رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا مؤودة** » (٨) .

[١٨] وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال :قال النَّبيّ ﷺ : «**إن لله تعالى أقوامًا يختصهم**

---

(١) مسلم برقم (٢١٩٩) .
(٢) مسلم برقم (٢١٩٩) .
(٣) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٩٦٨) .
(٤) المرجع السابق (٢٩٦٧) .
(٥) المرجع السابق (٢٩٧٤) .
(٦) المرجع السابق (٢٣٣٨) .
(٧) المرجع السابق (٢٣٣٩) .
(٨) المرجع السابق (٢٣٣٧) .

بالنعم لمنافع العباد ، ويثبتها عندهم ما نفعوهم ، فإذا هم لم ينفعوهم حوّلها الله عنهم إلى غيرهم » [١] .

[١٩] وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ كان يقول : « دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك مُوكّل ، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به : آمين ، ولك بمثل » [٢] .

[٢٠] وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينْقُص ذلك من أجورهم شيئًا » [٣] .

[٢١] وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه » [٤] .

[٢٢] وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : رسول الله ﷺ : « من أنظر معسراً ، أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله » [٥] .

[٢٣] وعن حذيفة رضي الله عنه ، قال : « أُتى الله بعبد من عباده آتاه الله مالاً ، فقال له : ماذا عملت في الدنيا ؟ ، قال : ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ قال : يارب آتيتني مالك فكنت أبايع الناس ، وكان من خلقي الجواز ، فكنت أتيسّر على الموسر وأنظر المُعسر ، فقال الله تعالى : « أنا أحق بذا منك ، تجاوزوا عن عبدي » [٦] ، فقال عقبة بن عامر وأبو مسعود الأنصاري رضي الله عنهما : هكذا سمعناه من فيّ رسول الله ﷺ .

وفي رواية : « حوسب رجل ممن كان قبلكم ، فلم يوجد له من الخير شيء ، إلا أنه كان يخالط الناس ، وكان موسراً ، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر ، قال الله - عز وجل - : نحن أحق بذلك منه ، تجاوزوا عنه » [٧] .

---

(١) السلسلة الصحيحة (١٦٩٢) .
(٢) مسلم برقم (٢٧٣٣) .
(٣) مسلم برقم (٢٦٧٤) .
(٤) الترمذي برقم (٢٨١٣) وقال حسن صحيح .
(٥) مسلم برقم (٣٠٠٦) .
(٦) مسلم برقم (١٥٦٠) .
(٧) مسلم برقم (١٥٦١) .

[٢٤] وعن أبي ذر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثِر ماءها ، وتَعاهدْ جيرانك** » (١) .

[٢٥] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه ، ثم جعل من حوائج الناس إليه فتبرَّم ، فقد عرَّض تلك النعمة للزوال** » (٢) .

[٢٦] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : أُصيب رجل في عهد رسول الله ﷺ في ثمار ابتاعها فكثر دَيْنه ، فقال رسول الله ﷺ : « **تصدقوا عليه** » ، فتصدق من الناس عليه ، فلم يبلغ ذلك وفاء دَيْنه ، فقال رسول الله ﷺ : « **خذوا ما وجدتم وليس لكم إلا ذلك** » (٣) .

❁ وأختم هذه الأحاديث النبوية المنتقاة هنا ـ لعلها تشحن المسلم وتفعِّله ليكون إنسانًا نافعًا ـ بالحديث العظيم الذي ضرب فيه النَّبيّ ﷺ المثل للمسلم بالنخلة في دوام نفعها وعدم انقطاعه .

[٢٧] فعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وإنها مثل المؤمن ، فحدِّثوني ما هي ؟** » ، فوقع الناس في شجر البوادي ووقع في نفسي أنها النخلة ، فاستحييت ، ثم قالوا : حَدِّثْنا ما هي يا رسول الله ؟ ، قال : « **هي النَّخلة** » (٤) . وفي رواية : « **إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم** » (٥) .

❁ هذه ثلة منتقاة من كلام المعصوم ﷺ تَحُثُّ على تفعِّيل دور المسلم وتفاعله لينفع غيره بما يستطيع، أو على الأقل يكف أذاه ويمسك شره عن غيره ، فهذا والله من نفع الآخرين بما يستطيع .

---

(١) مسلم برقم (٢٦٢٥) .
(٢) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٦١٨) وقال : رواه الطبراني بإسناد جيد .
(٣) مسلم رقم (١٥٥٦) ، والترمذي برقم (٦٥٠) .
(٤) البخاري برقم (٦١) .
(٥) البخاري برقم (٥٤٤٤) .

❁ ومَنْ تَفَاعَل وتفعّل بهذه الأحاديث ووعاها أصبح إنسانًا صاحب قلب كبير يَسَع به إخوانه ، ويتعدى خيره إلى غيره، يأتمر بقول ربه - جل وعلا - : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة : ٢] .

وانظر كيف عبَّر النَّبي ﷺ بقوله: « **أنفعهم للناس** » : إن أفعل التفضيل هنا تدل على أن درجة تفاعل المؤمنين لنفع الآخرين متفاوتة ، وكلما كثُر نفع المسلم لإخوانه وتفاعله معهم في هذا الطريق ، كلما ازدادت محبة الله تعالى له، وليس النفع قاصرًا على النفع المادي فقط .

وإنما يشمل كل ما يعود على الناس بالنفع ، نفعهم بالعلم ، نفعهم بالزرع ، نفعهم بإماطة الأذى عن طريقهم ، نفعهم بحسن المعاملة ، نفعهم بقضاء الحوائج وتنفيس الكروب ، نفعهم بالمشورة والإرشاد إلى الهدى ، نفعهم بالدعاء لهم بظاهر الغيب ، نفعهم بإدخال المسرة عليهم ، كل هذا من النفع الذي يزيد محبة الله لك .

❁ فهل أنت فاعل ؟ .

❁ وهل شَحَنَتْ هذه الأقوال الصادقة قلبك الطاهر بشحنة إيمانية فعّالة ؟ .

❁ إن كان قد حصل المطلوب - ونرجو الله ذلك - فاحمد الله ، وبادِر على الفور بالقيام بأي عمل من تلك الأعمال .

❁ وإن لم يكن قد حصل فأَعِد قراءتها لعله يحصل بإذن الله .





المبحث الثاني

هل تدري معنى: أحب الخلق إلى الله؟

لقد تكلم الله ـ عز وجل ـ عن حبه لبعض خلقه في كتابه العزيز في أكثر من موضع ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [المائدة:٤٢] ، وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [التوبة :٤] ، وقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ [آل عمران :١٥٩] ، وقال : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ، وقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾ [المائدة :٥٤] ، وقال : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ** ﴾ [آل عمران :٣١] ، ووصف نفسه بالوُدّ ، وهو خالص المحبة فقال: ﴿ **وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ** ⑭ ﴾ [البروج:١٤] ،و﴿ **إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ** ﴾ [هود : ٩٠] .

▪ والآيات كلها شاهدة بوصف الله ـ تعالى ـ بالحب ، وهذا هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة .

قال الشيخ / محمد خليل هراس ـ رحمه الله ـ في شرحه على الواسطية:

« تضمنت هذه الآيات إثبات أفعال له تعالى ناشئة عن صفة المحبة ، ومحبة الله ـ عز وجل ـ لبعض الأشخاص والأعمال والأخلاق صفة له قائمة به ، هي من صفات الفعل الاختيارية التي تتعلق بمشيئته فهو يحب بعض الأشياء دون بعض، على ما تقتضيه حكمته البالغة ، وهناك من ينفي صفة المحبة بدعوى أنها توهم نقصًا ، إذ المحبة في المخلوق معناها ميله إلى ما يناسبه أو يستلذه ، ويقولون: إنه لا معنى لمحبة الله لعبده إلا إرادته إكرامه ومثوبته ، وقال بعضهم : إن المحبة هي نفس الثواب ، وأما أهل الحق فيثبتون المحبة صفة حقيقية لله ـ عز وجل ـ على ما يليق به ، فلا تقتضي عندهم نقصًا ولا تشبيهًا ، كما يثبتون لازم تلك المحبة

وهي إرادته سبحانه إكرام من يحبه وإثابته ، وليت شعري بماذا يجيب النافون للمحبة عن مثل قوله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « **إن الله - عز وجل - إذا أحب عبداً قال لجبريل** عليه السلام : **إني أحب فلانًا فأحبه ، قال : فيقول جبريل** عليه السلام **لأهل السماء : إن ربكم - عز وجل - يحب فلانًا فأحبوه ، قال : فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغضه فمثل ذلك** » (١) .

وما أخبرنا الله - عز وجل - بذلك إلا لكي نبادر إلى الاتصاف بما يحبه من الأخلاق ، والقيام بالأعمال التي يحبها ، والإكثار من ذكر الكلام الذي يحبه ، وبذلك يحبنا سبحانه وتعالى (٢) .

ولعل الذين ينفون وصف الله بالمحبة والوُدّ، وإن كانوا قالوا هذا طلبًا لتنزيه الله ودفعًا للتشبيه عنه ، إلا أنهم لو تأملوا معنى المحبة والودّ من الله للعبد وآثار ذلك في الدنيا والآخرة :لأثبتوا ما أثبت الله - تعالى - لنفسه، وما أثبت له رسوله ﷺ .

ما قيمة حب الله تعالى لعبده ؟ :

إن محبة الله لعبده إن تفضّل بها - عز وجل - على عبد من عباده فهذا شيء لا يُقدَّر لعظمته ، فمن يكون ذاك العبد حتى يحبه مولاه ؟ .

قال الشيخ / سيد قطب - رحمه الله - : « وحب الله لعبدٍ من عبيده أمر لا يقدر على إدراك قيمته إلا من يعرف الله - سبحانه - بصفاته كما وصف نفسه ، وإلا من وجد إيقاع هذه الصفات في حسه ونفسه وشعوره وكينونته كلها ... أجل لا يُقدّر حقيقة هذا العطاء إلا الذي يعرف حقيقة المعطي ... الذي يعرف من هو الله ... من هو صانع هذا الكون الهائل ، وصانع الإنسان الذي يلخص الكون وهو جرم صغير ! .

---

(١) شرح العقيدة الواسطية، ص١٧٦، ط. دار ابن الجوزي وبها ثلاثة شروح : لابن عثيمين ، والفوزان، وهراس ، والحديث في صحيح مسلم برقم (١٨٤٤) .

(٢) د. عمر سليمان الأشقر ، العقيدة في الله ، ص (١٧٧) ط. دار النفائس ، عما ١٩٩١م .

من هو في عظمته ، ومن هو في قدرته ، ومن هو في تفرده ، ومن هو في ملكوته . . . من هو ومن هذا العبد الذي يتفضل الله عليه منه بالحب ، والعبد من صنع يديه سبحانه ، وهو الجليل العظيم ، الحي الدائم الأزلي الأبدي ، الأول والآخر والظاهر والباطن .

وحب العبد لربه نعمة لهذا العبد لايدركها كذلك إلا من ذاقها . . . وإذا كان حب الله لعبد من عبيده أمرًا هائلاً عظيمًا ، وفضلاً غامرًا جزيلاً ، فإن إنعام الله على العبد بهدايته لحبه وتعريفه هذا المذاق الجميل الفريد الذي لا نظير له في مذاقات الحب كلها ولا شبيه ، وهو إنعام هائل عظيم ، وفضل غامر جزيل .

وإذا كان حب الله لعبد من عبيده أمرًا فوق التعبير أن يصفه ، فإن حب العبد لربه أمر قلّما استطاعت العبارة أن تصوره إلا في فلتات قليلة من كلام المحبين ، وهذا هو الباب الذي تفوّق فيه الواصلون من رجال التصوف الصادقين - وهم قليل من بين ذلك الحشد الذي يلبس مسوح التصوف - ولا زالت أبيات رابعة العدوية تنقل إلى حسي مذاقها الصادق لهذا الحب الفريد وهي تقول :

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الودّ فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

وهذا الحب من الجليل للعبد من العبيد ، والحب من العبد للمنعم المتفضل يشيع في هذا الوجود ويسري في هذا الكون العريض ، وينطبع في كل حي وفي كل شيء فإذا هو جوّ وظل يغمران هذا الوجود ، ويغمران الوجود الإنساني كله ممثلاً في ذلك العبد المحب المحبوب .

والتصور الإسلامي يربط بين المؤمن وربه بهذا الرباط العجيب الحبيب وليست مرة واحدة ولا فلتة عابرة ، إنما هو أصل وحقيقة وعنصر في هذا التصور أصيل : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا** ﴾ [مريم : ٩٦] ،

﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود : ٩٠] ، ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾ [البروج : ١٤] وعجبًا لقوم يمرون على هذا كله ليقولوا : إن التصور الإسلامي تصور جاف عنيف ، يصور العلاقة بين الله والإنسان علاقة قهر وقسر وعذاب وعقاب وجفوة وانقطاع ، لا كالتصور الذي يجعل المسيح ابن الله ؟! ، وأقنوم الإله ، فيربط بين الله والناس في هذا الازدواج ! .

وهنا - في صفة العصبة المؤمنة المختارة لهذا الدين - يَرِد ذلك النص العجيب ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ ويُطلق شحنته كلها في هذا الجو الذي يحتاج إليه القلب المؤمن ، وهو يضطلع بهذا العبء الشاق ، شاعرًا أنه الاختيار والتفضل والقربى من المنعم الجليل » [١] .

وقال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - :

« ومحبة الله مرتبة عالية عظيمة ، ووالله إن محبة الله لتُشترى بالدنيا كلها ، وهي أعلى من أن تحبَّ الله ، فكون الله يحبك أعلى من أن تحبه أنت ، ولهذا قال بعض العلماء : الشأن كل الشأن في أن الله يحبك لا أنك تحب الله ، كلٌّ يدعي أنه يحب الله لكن الشأن في الذي في السماء - عز وجل - هل يحبك أم لا ؟ ، إذا أحبك الله - عز وجل - أحبتك الملائكة في السماء ، ثم يوضع لك القبول في الأرض فيحبك أهل الأرض ويقبلونك ويقبلون ما جاء منك ، وهذه من عاجل بشرى المؤمن » [٢] .

وقال العلامة ابن القيم - رحمه الله - :

« إن هذا الاتباع يوجب المحبة والمحبوبية معًا ، ولا يتم الأمر إلا بهما ، فليس الشأن في أن تحب الله ، بل الشأن في أن يحبك الله ، ولا يحبك الله إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهرًا وباطنًا ، وصدقته خبرًا وأطعته أمرًا ، وأجبته دعوة ، وآثرته طوعًا ، وغنيت عن حكم غيره بحكمه ، وعن محبة غيره من الخلق بمحبته ، وعن طاعة

---

(١) في ظلال القرآن (٢ /٩١٨، ٩١٩) .

(٢) من شرح ابن عثيمين على الواسطية ، (ص ١٧٥ ، ١٧٦) .

غيره بطاعته ، وإن لم يكن ذلك فلا تتعن ، وارجع من حيث شئت ، فالتمس نورًا فلست على شيء ، وتأمل قوله : ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] ، أي الشأن في أن الله يحبكم لا في أنكم تحبونه ، وهذا لا تنالونه إلا باتباع الحبيب ﷺ » [١] .

هذه بعض أقوال المحبين العارفين الذين أفنوا أعمارهم وبذلوا كل ما يملكون ليحظوا بمحبة خالقهم ، فلم يتركوا عملاً علموا أنه يحبه إلا فعلوه ، لأنه السبيل إلى محبته سبحانه وتعالى، وهم قبل هذا أو ذاك يقدِّرون معنى محبة الله للعبد .

ولعله يزيدك إدراكًا وفهمًا لقيمة محبة الله للعبد أن تتذكر أن الله هو الغني الحميد، وكل الخلق محتاجون إليه ، فقراء إلى ما عنده ،كما قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر:١٥]، والإنسان منا إذا أحبه إنسان غنيّ ذو ثراء لغير مصلحة أو حاجة كان هذا محل تقدير عند المحبوب ، يقول : إنه يحبني وأنا المحتاج إليه وليس هو .

فكيف بك إذا أحبك الله ؟ :

محبة العبد لربه لا تخلو من طلب ، ومهما كان الطلب ساميًا راقيًا إلا أنه حاجة ، وأما محبة الرب للعبد فهي خالصة عن الحاجة ، ولهذا وصف الله تعالى نفسه بالوُدّ « وهو صفو المحبة وخالصها ولبها » [٢] ، فقد قال تعالى : ﴿ **وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ** ﴿١٤﴾ ﴾ [البروج :١٤] .

واقرأ هذا الحديث بتأمل وتمعُّن ، وفيه أن النَّبيّ ﷺ قال لأُبيّ بن كعب رضي الله عنه ذات يوم: « **إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾** » ، فقال أُبيٌّ : وسمَّاني لك باسمي ؟ ، قال : « **نعم** » ، فبكي أُبيٌّ رضي الله عنه [٣] .

---

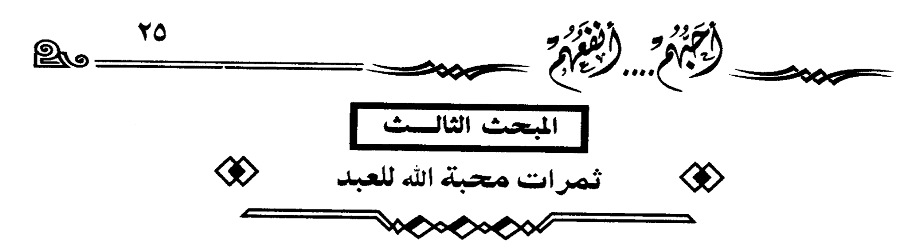
(١) ابن القيم : مدارج السالكين (٣ / ٣١) ، ط. دار إحياء التراث العربي ، بيروت ٢٠٠١م .
(٢) مدارج السالكين (٣ / ٢٤).
(٣) صحيح مسلم برقم (٧٩٩) ك صلاة المسافرين وقصرها .

أتدري لماذا بكى أُبيٌّ؟ ، لقد بكى فرحًا لأنه أدرك مقدار النعمة والمنة في أن يذكره الله باسمه في الملأ الأعلى ، فكأنه قال : ومن أنا حتي يذكرني الله باسمي، فاستعبر وبكى ، ويا لها من نعمة لا يقدر قدرها إلا أهل الذوق ، وأما المحروم فربما يظنها حكايات ! .

وليس هذا لأُبيّ - صاحب رسول الله ﷺ - فقط ، بل كما جاء في الحديث القدسي يقول رب العزة - جل وعلا - « **من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي** »، ونفس الله أعظم من نفوسنا « **ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه** » ، وفيه أيضًا : « **ومن تقرب إليّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا ، ومن تقرب إليّ ذراعًا تقربت إليه باعًا ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة** » [1] .

إذا فحبُّ الله تعالى للعبد أمر لا يُقدَّر ولا يُقوَّم ، فما الذي يصلح أن يكون ثمنًا له وعظمته لا تقدر !!! .

(١) الحديث أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) ، ومسلم برقم (٢٦٧٥) .



المبحث الثالث

ثمرات محبة الله للعبد

إن لمحبة الخالق لعبده ثمرات زكية ، يثمرها ذاك الود والحب الخالص ، أتدري ما هي أخي الحبيب ؟ .

إن الله تعالى إذا أحبك ورضى عنك نادى في مخلوقاته ليحبوك ، وكتب لك القبول ، ووفقك وهداك ، وشرف في الملأ الأعلى ذكرك ، وآنسك وأذهب عنك الوحشة ، وليس هذا كلامًا إنشائيًا بل هو خبر صادق ووعد لا يتخلف ، وسأورد لك بعض ثمرات محبة الله ـ تعالى ـ للعبد ومع كل ثمرة دليلها .

[١] توجيه الأمر للملائكة بحب العبد الذي أحبه الله :

ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله تعالى إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال : إني أحبُّ فلانًا فأحبّه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادي جبريل في السماء فيقول : إن الله يحب فلانًا فأحبوه ، فيحبُّه أهل السماء** » (١) .

وانظر في كتاب الله كي تتعرف على شعور الملائكة وخالص ودّهم إذا أحبوك لحب الله لك، يقول تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) ﴾ [غافر : ٧-٩] .

وانظر إلى حبهم لك يا من أحبك الله إذ يبشرونك بالجنة عند وفاتك ﴿ الَّذِينَ

---

(١) البخاري برقم (٣٢٠٩) ومسلم برقم (٢٦٣٧) .

تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون (٣٢) ﴾ .

[النحل : ٣٢] .

ويتلذذون بالحديث مع من أحبهم الله عندما يُساقون إلى الجنة ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) ﴾ [الزمر : ٧٣] .

وبعد دخول الجنة يدخلون على من أحبهم الله مهنئين لهم بالسلامة والفوز ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) ﴾ [الرعد : ٢٢-٢٤] .

والصابرون من خاصة أحباب الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران :١٤٦] .

قال الشيخ السعدي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية :

﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ يهنئوهم بالسلامة وكرامة الله لهم، ويقولون: ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُم ﴾ : أي حلّت عليكم السلامة والتحية من الله وحصلت لكم ، وذلك متضمن لزوال كل مكروه ، ومستلزم لحصول كل محبوب » [١] .

وقال صاحب الظلال - رحمه الله - :

« أولئك في مقامهم العالي في هذه الجنات يأتلف جمعهم ويلتئم شملهم مع الصالحين من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، وفي جوّ التجمع والتلاقي يشترك الملائكة في التأهيل والتكريم في حركة رائحة غادية ﴿ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ ويدعنا السياق نرى المشهد حاضراً وكأنما نشهده ونسمع الملائكة أطوافًا

(١) تفسير السعدي (ص ٣٩٢٢) ، ط. دار ابن حزم ، بيروت ٢٠٠٣م .

أطوافًا ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ فهو مهرجان حافل باللقاء والسلام والحركة الدائبة والإكرام » [١] .

وقال في التعقيب على آية غافر : « وبينما حملة العرش ومن حوله يتجهون إلى ربهم بهذا الدعاء لإخوانهم المؤمنين نجد الذين كفروا في الموقف الذي تتطلع كل نفس فيه إلى المعين وقد عز المعين ، نجدهم وقد انقطعت العلاقات بينهم وبين كل أحد ، وكل شيء في الوجود ، وإذا هم يُنادَوْن من كل مكان بالترذيل والمقت والتأنيب ، وإذا هم في موقف الذلة بعد الاستكبار ، وفي موقف الرجاء ولات حين رجاء : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (١٠) ﴾** [غافر : ١٠] [٢] .

فلعلك أدركت إذن هذه الثمرة من ثمرات حبّ الله للعبد ... وقد يكون من حكمة الله - تعالى - في توجيه الأمر لملائكته بحب من أحبهم من البشر نوع مباهاة لهم كما ورد - مثلاً - في حق أهل عرفة : « **إن الله يباهي بأهل عرفات أهل السماء فيقول لهم : انظروا إلى عبادي جاءوني شعثًا غبرًا** » [٣] .

[٢] كتابة القبول في الأرض للعبد الذي أحبه الله تعالى :

ففي بقية الحديث السابق بعد أن ذكر أمر الله للملائكة بحب عبده الذي أحبه قال : « ... ثم يوضع له القبول في الأرض » [٤] .

ومعنى أن يوضع له القبول : يعني أن يكون مقبولاً محبوبًا مألوفًا ، يأمنه أهل الأرض ، فيستريحون لرؤيته وينشرحون لسماعه ، وقد يكتب الله لمن أحبه القبول في حال حياته وبعد مماته لكتبه ومصنفاته وآثاره ، وانظر هذا في حياة

---

(١) في ظلال القرآن (٤ / ٢٠٥٨) .

(٢) المرجع السابق (٥ / ٣٠٧١) .

(٣) صحيح الترغيب والترهيب برقم (١١٥٢) وقال رواه أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرطهما .

(٤) سبق تخرجه .

كثير من أئمتنا « كأحمد بن حنبل ، والبخاري ، ومسلم ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن القيم ، وابن الجوزي . . . وغيرهم » ممن نحسب أن الله ـ تعالى ـ أحبهم فكتب لهم القبول في حياتهم فاجتمعت حولهم قلوب العامة والخاصة ، وبعد مماتهم أقبلت الأجيال على كتبهم يتتلمذون ويتعلمون ويستشرحون ويستوضحون ، فكل من تعلم مسألة أو استفاد فائدة من كتبهم كان لهم مثل أجره ، وهذا من ثمرات محبة الله تعالى لهم .

وأسوق لك هنا قصة واحدة لترى الفرق بين من أحبه الله فكتب له القبول وبين من أبغضه فكتب له البغضاء .

روى الخطيب البغدادي في التاريخ قال : قال الزعفراني :حجّ بشرٌ المريسي[١] فلما قدم قال : رأيت بالحجاز رجلاً ما رأيت مثله سائلاً ولا مجيبًا ـ يعني الشافعي ـ قال : فقدم علينا فاجتمع إليه الناس ، وخفُّوا عن بشر ، فجئتُ إلى بشر فقلت : هذا الشافعي الذي كنت تزعم قد قدم ، قال : إنه قد تغيّر عما كان عليه ، قال : فما كان مَثَل بشرٍ إلا مثل اليهود في شأن عبد الله بن سلام »[٢] .

فالشافعي ـ رحمه الله ـ مَثَال من أحبه الله فكتب له القبول ، والمريسي مثال من أبغضه الله فكتب له البغضاء .

[٣] تشريف العبد الذي أحبه الله :

ففي الحديث القدسي الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال : « **يقول الله ـ عز وجل ـ أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن**

---

(١) بشر المريسي هو : بشر بن غياث المريسي من موالي زيد بن الخطاب ، أخذ الفقه عن أبي يوسف الحنفي ، وكان داعية إلى القول بخلق القرآن فهجره أبو يوسف توفي ٢١٨هـ ببغداد ولم يشيعه أحد من العلماء . انظر وفيات الأعيان ١ /٢٧٧ ط. دار صادر ببيروت ، تحقيق الدكتور/ إحسان عباس.

(٢) تاريخ بغداد ٢ /٦٥ ، سير أعلام النبلاء ١٠ /٤٤، ٤٥ .

تقرَّب إليّ شبراً تقربتُ إليه ذراعًا ، وإن تقرّب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » (١) .

والذاكر عبدٌ يحبه الله ورسوله ﷺ ، وانظر في هذا الحديث كيف شرَّفه ، فإذا ذكر العبد ربه في نفسه ذكره الله في نفسه ، ونفس الله أعظم من نفوسنا ، والملأ العلوي خير من الملأ السفلي، ثم انظر كيف يبلغ التشريف غايته من خلال ما ترى في الحديث من معاملة الله لعبده : « **إن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعًا . . . وإن أتاني يمشي أتيته هرولة** » .

[٤] العون والتوفيق والحفظ والرعاية واستجابة الدعاء لمن أحبه الله :

ففي الحديث القدسي يقول الله - عز وجل - : « وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبّ إليَّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ،وبصره الذي يبصر به ،ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ،ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته » (٢) .

قال الإمام الخطابي - رحمه الله - كما نقل عنه ابن حجر في الفتح :

« والمعنى توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء ، وتيسير المحبة له فيها ، بأن يحفظ جوارحه عليه ، ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله من الإصغاء إلى اللهو بسمعه ، ومن النظر إلى ما نهى الله عنه ببصره ، ومن البطش فيما لا يحل له بيده ، ومن السعي إلى الباطل برجله » (٣) .

---

(١) البخاري برقم (٧٤٠٥) ، ومسلم برقم (٢) في الذِّكر والدعاء .

(٢) البخاري برقم (٦٥٠٢) .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري(١٣ / ١٤٦) ط . دار الفكر ، بيروت ٢٠٠٠ .

إن العبد بدون هداية ربه وتوفيقه يغرق في بحر الضلال لا يحجزه حاجز مهما اجتهد في الخروج منه :

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

فالموفق من وفقه الله والمخذول من خذله الله .

✿ والعبد - أيضًا - بدون عون ربه - سبحانه - له ضعيف عاجز حتى عن أن يرفع إلى فيه لقمة ، أو يدفع عن نفسه ذبابة .

✿ وبدون حفظ ربه ورعايته نهبة للآفات وشياطين الإنس والجن ، وإذا لم يستجب له مولاه ، فمن ذا الذي يجيب ؟! .

✿ ﴿ **وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ** ﴾ [الإسراء : ٦٧] .

✿ ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ .

[البقرة : ١٨٦] .

✿ ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ [غافر : ٦٠] .

[٥] الأنس وطرد الوحشة :

فالعبد منا كم هو محتاج إلى الاستقرار والسكينة والطمأنينة،وكم يطرأ على العبد منا من مخاوف وهواجس تقض مضجعه وتُطيِّر النوم من عينيه، فإذا تقرَّب العبد من ربه فظفر بمحبته - سبحانه - حصل الأنس وحلّت السكينة وطُردت الوحشة.

وفي معنى الخبر الإسرائيلي : « عبدي اطلبني تجدني ، فإن وجدتني وجدت عندي كل شيء ، وإن فقدتني فقدت كل شيء » .

وهل يجد الله - تعالى - إلا من أحب الله فأحبه ؟ :

قال ابن القيم - رحمه الله - : « منزلة الأُنس بالله ... وهو روح القرب ...

فاستحضار القلب هذا البر والإحسان واللطف يوجب قربه من الرب سبحانه وتعالى ، وقربه منه يوجب له الأنس ، والأنس ثمرة الطاعة ، والمحبة ، فكل مطيع مستأنس وكل عاصي مستوحش » [١] .

هذه بعض ثمرات محبة الله للعبد ، ويبقي في الأمر ما يدل على عظمة محبة الله للعبد ، فما دامت محبته عظيمة فلا شك أن ما يدخره لعبده من الثواب عظيم بحيث لا يخطر على قلب .

ولو لم تكن إلا هذه الخمس من ثمرات محبة الله للعبد ، فماذا يريد الإنسان بعدها؟! ، عونٌ وتوفيقٌ وهدايةٌ وعلاقات طيبة مع الملائكة المقربين تستغفر لك وتدعو ، وقبولٌ في الأرض وتشريف وتكريم وأنس وراحة قلب ، إنها والله جنة في دار الدنيا !!! .

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ٣٠٤ .

المبحث الرابع

إحياء الواجبات الكفائية وأثره في نفع الأمة

تتقاصر همم الكثيرين منَّا عن فعل كثير من أفعال الخير ، متذرعة بأن هذه الأفعال ليست واجبة ولا مفروضة ، وإنما هي سُنَّة أو فرض كفاية ، ويشيع فقه مغلوط ، سببه قلة البحث وفقدان التأصيل من كثير من المسلمين ، وسرعان ما يتشبس الناس بذاك الفقه ! .

وهناك أناس ذووا أمزجة مختلة ، وهمم سافلة ، يفهمون الدين وفق أمزجتهم العاطلة ، فيتصيدون من الدين الرُّخص ، ولا يبحثون عن العزائم ، ويختارون من خلاف الفقهاء أيسره ، وليس أرجحه ولا أقواه ، ويتذرعون أنه ﷺ « **ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما** » (١) .

وربما امتدّ هذا الفقه المزاجي ليطال الفروض العينية ، فيتخلف المتخلف عن صلاة الجماعة ... ويقول لمن ينصحه : « **إن الدِّين يُسر** » ، « **هلك المتنطعون** » (٢) ، « **يسِّروا ولا تُعسِّروا ...** » (٣) .

❁ وهكذا يظهر المسلم الملتزم بالحد الأدنى للالتزام ـ وهو الحرص على صلاة الفروض في جماعة ـ بمظهر المتشدد ، المتنطع ... .

❁ ويضيِّع كثير منَّا فرصًا من الخير متذرعًا بهذا الفقه المزاجي ، لا يرد السلام وهو في جماعة ؛ لأن ردًّ واحدٍ يكفي ! .

❁ وهذا الفقه المزاجي في الغالب من وسوسة النفس والشيطان ، لا يزالان

---

(١) البخاري برقم (٣٥٦٠) .
(٢) مسلم برقم (٧) في العلم .
(٣) البخاري برقم (٦٩) في العلم .

بصاحبهما لتثبيط عزمه ، يبدآن بشغله بفضول المباحات ، حتى يُقعدانه عن السُنن والمندوبات ، ثم الفرائض والواجبات يُهوِّنان له من أهميتها،هي فروض... ولكن الله غفور رحيم ، ويكفي منها الحد الذي يُسقِطها ، فيكفي أن يصلي وليس من شرط أن يكون في جماعة ... وهكذا ! .

وسنحاول في هذا المبحث دراسة الواجبات الكفائية كبداية لطرائق تفعيل الأمة نحو النفع وفعل الخير العام :

أولاً : تعريف الواجب الكفائي :

« الواجب الكفائي هو ما طلب الشارع فعله من مجموع المكلفين، لا من فرد بعينه ، فإذا قام به بعض المكلفين فقد تأدى الواجب وسقط الإثم عن الباقين ، وإن لم يقم به أحد أثم الجميع ، وسمي واجبًا كفائيًا : لأن قيام بعض المكلفين به يكفي للوصول إلى مقصد الشارع » (١) .

ثانيًا : أمثلة للواجب الكفائي :

ومن أمثلة الواجب الكفائي ما يلي :

[١] تغسيل الميت وتكفينه ودفنه والصلاة عليه .

[٢] إنقاذ الغريق والحريق ... وكل ذي حاجة ملهوف .

[٣] رد السلام على من سلَّم .

[٤] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

[٥] جهاد الأعداء .

[٦] تولي القضاء والإفتاء والمناصب العامة .

[٧] تعليم الناس سائر فروع العلم .

(١) د. محمد الزحيلي : علم أصول الفقه (ص٨٧) ط. دار القلم ، دبي ٢٠٠٤م .

[٨] إقامة سائر أنواع الأعمال والحرف والصناعات .

[٩] المتاجرة والمضاربة وتنمية الاقتصاد .

[١٠] كفالة الأيتام والمساكين والأرامل .

[١١] إماطة الأذى عن الطريق والمورد [١] والأماكن العامة .

[١٢] دفع الظلم عن المظلومين ونصرتهم .

[١٣] الإصلاح بين الناس .

[١٤] أداء الشهادات والشفاعات .

قال الشاطبي - رحمه الله - وهو يُجْمل الواجبات الكفائية :

« الولايات العامة والجهاد ، وتعليم العلم ، وإقامة الصناعات المهمة ، فهذه كلها فروض كفايات » [٢] .

وقال الدكتور / عبد الباقي عبد الكبير :

« ... يدخل في الواجبات الكفائية في عصرنا هذا، التصدي لحفظ المصالح العامة بصورة شاملة، والتي تشمل التنمية الاقتصادية والتكنولوجية،من الصناعة والزراعة، وكل ما يحتاجه المجتمع لحفظ كيانه وقيمه ومصالحه، وبلغة العصر: التحرك وفق الاستراتيجية القومية الشاملة ، التي تحقق الأمن القومي والإقليمي للأمة ... وهذا التحرك ، وفق مقتضيات هذه الاستراتيجية هو من الواجبات الكفائية، وكل فرد في الأمة مسئول عن ذلك ويأثم بتقاعسه عنه، وتنظيم الأفراد للقيام بهذه الوظائف وفق قدراتهم وطاقتهم من وظيفة الدولة والقائمين على الأمور ، وعلى الأفراد إعانة القائمين على الأمر والقائمين على الواجبات الكفائية

---

(١) المورد : هو مكان الماء يَرده الناس ليستقوا منه ، قال تعالى : ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ﴾[يوسف :١٩] .

(٢) إبراهيم بن موسى الشاطبي : الموافقات في أصول الشريعة ٣٨١ ط. دار المعرفة بيروت .

المتعددة ، وبهذا يتحول التدين الصحيح إلى مشروع تنمية بشرية ، وتحرُّك حضاري إنساني يحرك الجهود كلها وفئات المجتمع كله نحو الصالح العام ، وبهذا يكون كذلك القضاء على الأفهام المنغلقة والسطحية عن الدين والتدين الانعزالي، الذي يكرِس التخلف والتبعية والانجرار وراء الآخر ... » (١) .

ثالثًا : حكم الواجب الكفائي :

قبل بيان حكم الواجب االكفائي يحسُن بنا أن نعرف مَنْ المخاطب أو المكلف بالواجب الكفائي مِنْ قِبل الشرع .

وقد اختلف الفقهاء والأصوليون في هذه المسألة :

- فيرى الجمهور أن الخطاب بالواجب الكفائي موجّه إلى كل فرد .
- ويرى بعض الأصوليين أن الخطاب به موجّه إلى مجموع الأمة لا إلى كل فرد.
- ويرى البعض أن الخطاب به موجّه إلى بعض الأُمة ، وهذا البعض قد يكون مبهمًا أو متعيناً عند الله فقط .
- الراجح أنه موجّه إلى كل فرد من أفراد الأمة المكلفين ، ولهم على ذلك أدلة قوية منها : « أن الاتفاق قائم على أنه إذا لم يقم بالواجب الكفائي أحد أثم الجميع ، ولو لم يكن الخطاب موجهًا إلى الجميع لما أثم الجميع ... » (٢) .
- على هذا فحكم الواجب الكفائي أنه يتعلق بجميع المكلفين عند الجمهور، فالقادر عليه يقوم به بنفسه،وغير القادر يحث غيره على القيام به، فإذا قام به بعضهم سقط الطلب عن الباقين وإذا لم يفعله أحد أثموا جميعًا (٣) .

---

(١) د. عبد الباقي عبد الكبير : إحياء الفروض الكفائية سبيل إلى تنمية المجتمع ص (٤٠ ، ٤١) ، سلسلة كتاب : الأمة ، عدد رقم (١٠٥) .

(٢) **انظر** : د. إسماعيل إبراهيم الوزير : مباحث في أصول الفقه ص (٤٨ ، ٤٩) ، ط. مركز التراث اليمني ، صنعاء ٢٠٠٣م .

(٣) د. محمد الزحيلي : علم أصول الفقه (ص٨٧) ، الإحكام في أصول الأحكام : لعلي بن أبي عليّ الآمدي ١/ ٩٤ ط. مؤسسة الحلبي ، القاهرة ١٩٦٧م .

❁ قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ في الفرض الكفائي :« لو ضيعوه معًا خفْت أن لا يخرج واحد منهم مطيق فيه المأثم » [١] .

❁ وهناك خطأ لدى كثير من الناس في فهم حكم الواجب الكفائي ، وهو أن الإثم يسقط عن الجميع مطلقًا بمجرد قيام البعض به ، والصواب أنه يسقط الإثم إذا حصل من قيام من قاموا بالواجب الكفائي كفاية الأمة في تحقيق المصلحة ، فإذا لم يحصل كفاية فإن المسئولية لا تزال على الجميع .

❁ **فالجهاد مثلاً :** فرضٌ كفائي ، لكن إذا تعرضت الأمة للعدوان عليها في بلد ما من بلاد المسلمين ولم يحصل بخروج جيش هذا البلد ومقاوميه الكفاية في ردّ العدوان، فإن الإثم لا يسقط عن بقية المسلمين إلا بمناصرتهم على عدوّهم . . . وهنا ينقلب الواجب الكفائي إلى واجب عيني لا تبرأ ذمة كل فرد قادر إلا بأدائه .

❁ وكذلك ـ مثلاً ـ تعلم الطب والهندسة والزراعة وغيرها من الصناعات من فروض الكفايات ، لكن لا تبرأ ذمة الأمة بمجرد تعلم بعض أبنائها لتلك العلوم والصناعات ، وإنما لابد أن يحصل من تعلم هؤلاء حدّ الكفاية ، بحيث يكفون الأمة مؤنة التطفل على الآخرين في تلك المجالات .

قال الدكتور عبد الباقي عبد الكبير :

« لا تنتهي الواجبات الكفائية بمجرد تحمل الواجب الكفائي وتعينه على الأفراد، بل هناك امتدادات لهذه الواجبات،تقتضي من الأمة ممثلة في قيادتها ومؤسساتها المختلفة المسئولية والمساندة لأجل القيام بهذه الواجبات الكفائية إلى درجة الاكتفاء والتنافس مع الكيانات والتجمعات البشرية الأخرى ، ويشمل ذلك:

﴿ أ ﴾ حمل القائمين بالواجبات الكفائية وإعانتهم للقيام بها على النحو

(١) **انظر** : الرسالة ، (ص٦٦) .

الأمثل ، فإذا تعيّن الواجب الكفائي على شخص أو فئة ، فإن واجب الأمة هنا يتمثل في حمل القادر أو المتعيّن عليه على مباشرة الواجب الكفائي وإعانته ، حتى يتمكن من القيام به إلى درجة اكتفاء الأمة من الحاجة إلى تحقيق المصلحة ودرء المفسدة .

وطرق حمل المتعيّن على الواجب الكفائي وإعانته كثيرة ومتعددة منها :

الدعاء والتشجيع، والمساهمة في الإعداد والنصح والنقد ، والمحاسبة ، وإحداث كيانات الضبط والضغط ومؤسساتهما، وهذه الوسائل تتجدد بتجدد الزمان ، الأمر الذي يستدعي الاجتهاد الدائم والسعي المستمر لتحديث هذه المؤسسات ورفع مستواها وجدواها، والأخذ بتجارب الآخرين في هذا المجال . . . .

﴿ ب ﴾ متابعة الواجبات الكفائية والتأكد من إقامتها بقدر الكفاية ، وهذا الأمر يقتضي تفعيل مؤسسات البحث والإحصاء ومرافقها في المجالات المختلفة ، لقياس الأداء والإنتاج في مرافق الحياة العامة ، ومدى كفايتها لسد حاجة الأمة ، وأهم المرافق في ذلك هو التعليم والبحث العلمي والصناعة والخدمات والإدارة ، ويلزم من هذا إصدار تقرير عن التنمية في البلاد ، وبيان مستوى الأداء فيها ، يساعد أصحاب القرار ومؤسسات التأثير على التحرك السليم ، كما يقتضي الأمر الوقوف بوساطة مراكز البحث العلمي ، على مستوى الأداء والإنتاج والتوجهات للكيانات البشرية الأخرى ، ومعرفة مدى الموقف التنافسي ، وكذلك معرفة الفارق التنافسي العالمي والإقليمي » [١] .

وقال الدكتور / عبد الكريم زيدان :

« وعلى هذا التصوير للواجب وجب على الأمة مراقبة الحكومة وحملها على القيام بالواجبات الكفائية أو تهيئة الأسباب اللازمة لأدائها ، لأن الحكومة نائبة

---

(١) إحياء الفروض الكفائية ، (ص٤٢–٤٤) .

عن الأمة في تحقيق المصالح العامة ، وقادرة على القيام بأداء الفروض الكفائية، فإذا قصّرت في ذلك أثمت الأمة كلها بما فيها السلطة التنفيذية ، الأمة لعدم حملها الحكومة على تهيئة ما تقام به الفروض الكفائية ، والحكومة لعدم قيامها بالواجب الكفائي مع القدر عليه » (١) .

رابعًا : بيان أن الواجب الكفائي يُثاب عليه من قام به فقط :

إن الإثم والمسئولية وإن كانت تسقط إذا قام بالواجب الكفائي فرد أو جماعة وبلغ ما قاموا به حدّ كفاية الأمة ، إلا أنه لا يُثاب عليه إلا من قام به أو أعان على القيام به ، والبقية ممن لم يشاركوا فيه وإن كانوا لا يأثمون ، فهم أيضًا لا يُؤجرون ، ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ** (٣٩) ﴾ [النجم :٣٩] .

- أُلقى السلام على جماعة فردّ منهم واحد ، يُؤْجر فقط من قام بالردّ .
- صُلِّيت الجنازة على مَيِّت يؤجر من صلُّوا فقط .
- تُعلِّم أي علم أو صناعة . . .يُؤجر فقط من تعلموا ومن أعانهم . . .وهكذا .
- وهذا يعني أن يُخاطب كل مسلم نفسه قائلاً : إنني وإن كنت لا آثم لعدم مُشاركتي في الواجبات الكفائية لقيام بعض الإخوان بها ، فكيف أحرم نفسي من أجر المشاركة فيها ؟ ، وهل الذين قاموا بالواجب الكفائي محتاجون إلى فضل الله وأنا مُستغنٍ ؟ ، إنه لا يستغني عن فضل الله إلا محروم !! .
- إن أيوب عليه السلام يومًا تساقطت عليه جرادات من ذهب من السماء ، فجعل يحثو منها ويجمع ، فقال الله ـ تعالى ـ له : « ألم أكن أغنيتك من فضلي ؟ » ، فقال أيوب عليه السلام : « ولكن لا غنى لي عن فضلك » (٢) .
- ينبغي أن يكون هذا هو منطق كل مؤمن في التعامل مع الله ـ عز وجل ـ

---

(١) الوجيز في أصول الفقه (ص٣٢) ط . مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٢٧هـ .
(٢) **انظر** : البخاري برقم (٣٣٩١) .

الطمع فيما عنده ، وبالتالي القيام بتكاليفه التي أمر بها،والزهد فيما عند الناس.

قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ :

« والسلام ابتداؤه سُنَّة وردّه فرض عين على من قُصد به ، وفرض كفاية إذا قُصد به جماعة ، وردّ أحدهم يجزئ ، والسلام حسنة من الحسنات إذا قام به الإنسان فله عشر أمثاله ، يعني أنك إذا سلمت على أخيك وقلت : السلام عليك ، فلك عشر حسنات أجرًا باقيًا تجده أحوج ما تكون إليه، ونحن نعلم أنه لو قيل لشخص كلما لقيت أحدًا فسلمت عليه فلك بكل تسليمة درهم واحد، وجدت الإنسان يطلب الناس ليسلم عليهم ابتغاء هذا الدرهم الواحد، مع أن الدرهم يفنى ويزول ، والأجر والثواب الباقي تجدنا فاترين فيه متهاونين به ، عاملنا الله وإياكم بعفوه » [١] ... وهكذا في سائر الواجبات الكفائية .

خامساً : أهم المقاصد الشرعية في الواجبات الكفائية :

إن المشرع الحكيم دائمًا له مقاصد وحِكَمٌ جليلة فيما يُشرِّعه لعباده ، قال الإمام الشاطبي عن مقصد الشارع في الواجبات الكفائية : « ...أن الكفائي قيام بمصالح عامة لجميع الخلق » [٢] .

وقال السيوطي : « فروض الكفاية أمور كلية تتعلق بها مصالح دينية أو دنيوية ، لا ينتظم الأمر إلا بحصولها ، فطلب الشارع تحصيلها لا تكليف واحد بعينه » [٣] .

وقال العز بن عبد السلام : « واعلم أن المقصود بفرض الكفاية تحصيل المصالح ودرء المفاسد دون ابتلاء الأعيان بتكليفه،والمقصود بتكليف الأعيان حصول المقصود لكل واحد من المكلفين على حدته لتظهر طاعته أو معصيته... » [٤] .

---

(١) شرح رياض الصالحين (١ /٥٨٣) .

(٢) الموافقات في أصول الشريعة (١ /١٧٧) .

(٣) الأشباه والنظائر (١ / ٤١٠) ط. دار الكتب العلمية ، بيوت ١٤٠٣هـ .

(٤) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١ / ٤١) ،ط. دار الكتب العلمية ، بيروت .

ويمكن من خلال هذا القول : « بأن مقصد الشارع في الواجبات الكفائية هو حفظ مصالح الناس العامة ، وما يتعلق بالأمور الضرورية المجتمعية ، وتكوين المؤسسات الكفيلة بذلك ، وقضايا التعليم وتوفير الكفاءات الضرورية للدولة المعافاة وغير المتكففة على العالم الخارجي . . . » [١] .

وهذا المقصد الشرعي في الواجبات الكفائية من شأنه أن يحمي الأمن القومي للأمة الإسلامية في مختلف المجالات ، في مجال الأمن العسكري المتمثل في القدرة على الدفاع عن النفس والأمة والمقدسات ، والأمن الغذائي المتمثل في تحقيق الاكتفاء الذاتي من أنواع الغذاء الأساسية ، والأمن الاقتصادي المتمثل في القدرة على الإنتاج ومقاومة الغزو الاقتصادي ، والأمن الفكري المتمثل في القدرة على مقاومة الغزو الفكري والحفاظ على الهوية . . . وكل هذه المجالات مصالح عامة تتعلق بمستقبل الأمة وتفوقها ، ويجب أداؤها إلى درجة تحقيق اكتفاء الأمة من حاجتها لها ، وإلا فإنها تكون قد قصرت في واجب ديني له عظيم الأثر على المستقبل [٢] .

■ **ونخلص من هذا إلى :** أن الطريقة المثلى لحماية مصالح الأمة « الأمن القومي » في العمل على تديُّن الناس والتزامهم وإيقاظ ضمائرهم ، وليس حشد صفّ طويل من الاستخبارات والعيون ، لأن الدولة إذا أحسنت وضع الخطط لمعالجة الأفراد ، فإنهم سيصبحون أفراداً صالحين ، وبالتالي يخافون على مصالح الأمة ويسعون إلى صنع مجدها وعزها ، إعزازاً لدين الله الذي هو سبب عزَّها وأصل كرامتها .

---

(١) إحياء الفروض الكفائية (ص٥٢٢) .

(٢) **انظر** : المرجع السابق ، (ص٨٢ – ٨٣) ، الأبعاد التكنولوجية للأمن القومي العربي : لخالد عز الدين إسماعيل وآخر (ص٥٣١) .

المبحث الخامس

نفع الناس بالتعليم لمحو جهالتهم

إن تعليم المجتمع ومحو أميته أمانة دينية ، ومسئولية اجتماعية ينبغي أن يُساهم فيها كل من أكرمه الله بالعلم ، ولقد بيّن النَّبيّ ﷺ جسامة هذه المسئولية في كثير من أحاديثه ، تارة بالترغيب والحث على نفع الآخرين بالتعليم ، وتارة بتوعدهم على كتمانهم العلم .

أولاً : بالترغيب في تعليم الناس :

لقد رغّب النَّبيّ ﷺ في أداء هذه المهمة ليعم بها الخير كل أفراد المجتمع المسلم ليرتقي بالمستوى الثقافي لهم « فإن الفقر الثقافي أسوأ عقبى من الفقر المالي ، والشعب الذي يعاني من الغباء والتخلف لا يصلح للمعالي ولا يستطيع حمل رسالة كبيرة » (١) .

✿ بدأ النَّبيّ ﷺ وهو يُفعِّل الأمة نحو هذا الهدف ببيان أن هذا العمل أحق ما ينبغي أن يتنافس الناس فيه ، فقال : « **لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها** » (٢) .

✿ ثم بيَّن أن المسلم الذي يتعلم ويعلِّم غيره هو خير أفراد المجتمع لما يصدر عنه من نفع ، فقال : « **خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه** » (٣) ، وهذه خيرية مطلقة ويلحق بها كل من علَّم علمًا من العلوم الشرعية وغيرها ما كان علمًا نافعًا

---

(١) الشيخ/ محمد الغزالي : كنوز من السُّنَّة (ص١٣) ط. دار نهضة مصر .

(٢) البخاري في العالم (٧٣) ، ومسلم في الصاة المسافرين (٢٦٨) .

(٣) البخاري برقم (٥٠٢٧) .

محترمًا شرعًا .

❁ ثم بيَّن أجر وثواب من يُعلِّم غيره ، فقال عليه الصلاة والسلام : « **من علَّم علمًا فله أجر من عمل به ، لا ينقص من أجر العامل شيئًا** » [١] .

❁ وقال : « **من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئًا** » [٢] . والدعوة إلى الهدى لا تتم إلا بتعليم العلم .

❁ وقال : « **إن مما يلحق المؤمن من عمله بعد موته علمًا علَّمه ونشره ، وولداً صالحًا تركه ، أو مصحفًا ورّثه ، أو مسجداً بناه ، أو بيتًا لابن سبيل أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه بعد موته** » [٣] .

❁ وقال : « **من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلِّمه كان له كأجر حاج ، تامًّا حجته** » [٤] .

❁ وقال : « **أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت : رجل مات مرابطًا في سبيل الله ، ورجل علَّم علمًا فأجره يجري عليه ما عُمِلَ به ...** » [٥] .

❁ وقال : « **مُعَلِّم الخير يستغفر له كل شيء ، حتى الحيتان في البحر** » [٦] ، وفي رواية : « **... ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ...** » [٧] .

❁ ودعاء النَّبيّ ﷺ بنضارة الوجه لمن يعلِّم غيره فقال : « **نضَّر الله امرءاً سمع**

---

(١) صحيح المتجر الرابح برقم (١٥) وقال : رواه ابن ماجة .
(٢) مسلم في العلم (١٦) والترمذي في العلم (٢٦٤٧) .
(٣) صحيح المتجر الرابح برقم (١٢) وقال : رواه ابن ماجه ، بإسناد حسن وابن خزيمة .
(٤) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٨٦) وقال : رواها الحاكم وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي .
(٥) صحيح الترغيب والترهيب برقم (١١٤) ورمز له بأنه صحيح لغيره .
(٦) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٨٢) ورمز له بأنه صحيح لغيره .
(٧) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٧٠) ورمز له بأنه حسن لغيره .

مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها فَرُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه » [١] .

ولهذا كله فهم العلماء أن تعليم العلم ونشره أفضل من كثير من النوافل كالتهجد بالليل وغيره .

❁ فعن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمهما الله ـ قال : قلت لأبي : أتهجد بالليل أو أكتب العلم ؟، فقال : اكتب العلم » [٢] .

قال الحافظ الدمياطي بعد إيراد هذا الكلام في « المتجر الرابح » :

« قلت : وإنما قال له ذلك لأن كتابة العلم يتعدى نفعها إلى غيره فله أجره وأجر من انتفع بذلك في حياته وبعد موته أبداً ، وأما التهجد فليس له إلا أجره فقط ، والله أعلم » [٣] .

❁ ثم ضرب النَّبيّ ﷺ مثلاً عظيمًا لمن يُعَلِّم غيره فقال : « **مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا ، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت منها طائفة أخرى ، إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً ، فذلك مثل من فَقه في دين الله ، ونفعه ما بعثني الله به ، فعلم وعلَّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به »** [٤] .

قال الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ معلقًا على هذا الحديث :

« ضرب النَّبيّ ﷺ لما جاء به من الدين مثلاً بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه ، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه فكما أن الغيث يحيى

---

(١) الترمذي برقم (٢٦٥٧) وقال : حديث صحيح .
(٢) صحيح المتجر الرابح (ص١٦) .
(٣) المرجع السابق نفس الموضع .
(٤) البخاري برقم (٧٩) ومسلم برقم (٢٢٨٢) .

البلد الميت فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت ، ثم شبّه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل فيها الغيث ، فمنهم العامل المعلِّم ، فهو بمنزلة الأرض الطيبة ، شربت فانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت غيرها ، ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه ، غير أنه لم يعمل بنوافله أو لم ينفعه فيما جمع له ، لكنه أداه لغيره ، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء ، أو تفسده على غيرها ، وإنما جمع في المثل بين الطائفتين المحمودتين لاشتراكهما في الانتفاع بهما ، وأفرد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها والله أعلم » [١] .

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ :

« شبَّه النَّبيّ ﷺ العلم والهدى الذي جاء به بالغيث ، لما يحصل بكل واحد منهما من الحياة والمنافع والأغذية والأدوية وسائر مصالح العباد ، فإنها بالعلم والمطر ، وشبَّه القلوب بالأراضي التي يقع عليها المطر لأنها المحل الذي يمسك الماء فينبت سائر أنواع النبات النافع ، كما أن القلوب تعي العلم فيثمر فيها ويزكو وتظهر بركته وثمرته،ثم قسَّم الناس إلى ثلاثة أقسام بحسب قبولهم واستعدادهم لحفظه وفهم معانيه واستنباط أحكامه واستخراج حِكَمه وفوائده :

أحدها : أهل الحفظ والفهم الذين حفظوه وعقلوه،وفهموا معانيه واستنبطوا وجوه الأحكام والحِكَم والفوائد منه ، فهؤلاء بمنزلة الأرض التي قبلت الماء ـ وهذا بمنزلة الحفظ ـ فأنبتت الكلأ والعشب الكثير .

وهذا هو الفهم والمعرفة والاستنباط فإنه بمنزلة إنبات الكلأ والعشب بالماء ، فهذا مثلُ الحفَّاظ الفقهاء وأهل الرواية والدراية .

القسم الثاني : أهل الحفظ الذين رزقوا حفظه ونقله وضبطه ولم يرزقوا تفقهًا في معانيه ولا استنباطًا ولا استخراجًا لوجوه الحِكم والفوائد منه ، فهم

(١) من تعلقياته على صحيح الترغيب والترهيب (١٤٢/١) ، ط. مكتبة المعارف ، الرياض .

بمنزلة من يقرأ القرآن ويحفظه ويراعي حروفه وإعرابه ولم يُرزق فيه فهمًا خاصًا عن الله ... فهؤلاء بمنزلة الأرض التي أمسكت الماء للناس فانتفعوا به ، هذا يشرب منه ، وهذا يسقي منه ، وهذا يزرع .

فهذان القسمان هما السعداء والأولون أرفع درجة وأعلى قدرًا ﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾ [الحديد : ٢١] .

والقسم الثالث : الذين لا نصيب لهم منه لا حفظًا ولا فهمًا ولا رواية ولا دراية ، بل هم بمنزلة الأرض التي هي قيعان ، لا تنبت ولا تمسك الماء ، وهؤلاء هم الأشقياء ... وقد اشتمل الحديث على التنبيه على شرف العلم والتعليم ، وعِظَم موقعه وشقاء من ليس من أهله ... وفيه دلالة على أن حاجة العباد إلى العلم كحاجتهم إلى المطر ، بل أعظم ، وأنهم إذا فقدوا العلم فهم بمنزلة الأرض التي فقدت الغيث ، قال الإمام أحمد : الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب ، لأن الطعام والشراب يُحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين ، والعلم يحتاج إليه بعدد الأنفاس » [١] .

فالعاقل بعد كل هذا الترغيب من رسول الله ﷺ في نفع الناس بالعلم ينبغي ألا يُضيِّع الفرصة من يديه ، فإن أجره أعظم من عمله كما رأينا ، ولك أن تتخيل أخي الحبيب كم يُجرى من الثواب على من يُعلِّم الناس الخير ، إذا كان كل من عمل بشيء من علمه حتى بعد موته كان له مثل أجورهم إلى يوم القيامة لا ينقص من أجورهم شيئًا !! .

ثانيًا : التحذير من عدم المشاركة في نفع الناس بالتعليم :

ولقد حذَّر النَّبيّ ﷺ من عدم المشاركة في نفع الناس بالتعليم فذكر أن هذا يجعل العلم على صاحبه كالكنز لا ينفق منه ، فقال : « **مثل الذي يتعلم العلم**

(١) ابن القيم : مفتاح دار السعادة (١ /٢٤٧-٢٤٩) ط. دار ابن عفان ، السعودية ١٩٩٦م .

ثم لا يُحدِّث به كمثل الذي يكنز الكنز ثم لا ينفق منه » [(١)] .

ومعلوم بم توعد الله من يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ، توعدّهم بعذاب أليم ، قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥)** ﴾ .
[التوبة : ٣٤-٣٥] .

وقال ﷺ : أيضًا : « **من سُئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجامٍ من نار** » [(٢)] .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ وهو يتكلم على مراتب العلم :

« المرتبة الرابعة تبليغه وبثُّه في الأمة ليحصل به ثمرته ومقصوده ، وهو بثه في الأمة ، فهو بمنزلة الكنز المدفون في الأرض الذي لا يُنفقُ منه ، وهو معرَّض لذهابه ، فإن العلم ما لم ينفق منه ويُعلَّم فإنه يوشك أن يذهب فإذا أنفق منه نما وزكا على الإنفاق » [(٣)] .

✿ بل انظر كيف توعد النَّبيّ ﷺ في خطاب مباشر من لا يُعلِّمون جيرانهم بعاجل العقوبة ، فعن علقمة بن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن جده قال : « **خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيراً ، ثم قال : ما بال أقوام لا يُفقِّهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم ؟ ، وما بال أقوامٌ لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون ؟ ، والله ليُعلِّمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم**

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٢٢) ورمز له بانه حسن صحيح .
(٢) صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٢٠) ورمز له بانه صحيح .
(٣) مفتاح دار السعادة (١ / ٢٧٦) .

ويأمرونهم وينهونهم ، وليتعلَّمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم العقوبة ، ثم نزل ﷺ » .

فقال قوم : من ترونه عنى ـ قصد ـ بهؤلاء ؟ .

قال :عنى الأشعريين !،فإنهم قوم فقهاء ولهم جيران جفاة من أهل المياه والأعراب .

فبلغ ذلك الأشعريين ، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، ذكرت قومًا بخير وذكرتنا بشر ، فما بالنا؟ ، فقال رسول الله ﷺ مرةً أخرى : « **ليُعلِّمن قوم جيرانهم وليعظنهم وليأمرنهم ولينهونهم ، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتعظون ويتفقهون أو لأعاجلنهم العقوبة في الدنيا** » ، فقالوا : يا رسول الله ، أنُفطِّنُ غيرنا ؟ ، فأعاد عليهم قوله ، فأعادوا قولهم : أنفطن غيرنا ؟ ، فأعاد عليهم قوله ، فقالوا : أمهلنا سنة ، فأمهلم سنة ليعلموهم ويفقهوهم ويعظوهم ، ثم قرأ النَّبيّ ﷺ هذه الآية : ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ** ﴿٧٨﴾ ﴾ [المائدة :٧٨] [١] .

فانظر في هذا الحديث كم كان مقدار استيائه ﷺ من رؤية مجموعة من أمته ، ليس عليهم آثار العلم ، وعلى الفور حمَّل المتعلمين المسئولية وحذّرهم إن هم قصروا في تعليم إخوانهم أن يعاجلهم بعقوبة، لأنه يعلم أن العلم هو الضمان لصحة العمل ، فإذا شاع الجهل قلّ العمل وابتدع الناس وأحدثوا وأخطأوا واستحسنوا آراء وقدموها لأنهم لا يعلمون .

❁ ولعلك فهمت من هذا التحذير السابق الآن وبدا لك واضحًا كم نحن مضيِّعين ومفرطين وخصوصًا من يُكلَّفون بالتعليم تكليفًا ويأخذون على ذلك راتبًا ومع ذلك أكثرهم لا ينفعون التلاميذ ولا يعلمونهم .

(١) مجمع الزوائد برقم (٧٤٨) وقال : رواه الطبراني في الكبير وفيه بكير بن معروف ، وقال البخاري : ارم به ، ووثقه أحمد في رواية وضعفه في أخرى ، وقال ابن عدي : إنه لا بأس به .

قال الشيخ / محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ :

« ويؤسفنا أن نسمع اليوم عن شجار بين التلامذة والمدرسين حول قيمة الدرس ووقته ، ونحن لا نبخس حق مدرس ولا نريد له أن يتعرض لهوان ، ونرى الأشرف والأتقى لله أن تختفي هذه الضجة وأن يتعاون المسلمون على البر والتقوى » [١] .

وليت كل متعلم أو صاحب علم في الأمة يعي هذا التوجيه الإلهي بالتعليم والتحذير من كتمان العلم ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ** ﴾[آل عمران : ١٨٧] .

قال الشيخ / محمد علي الصابوني :

« ولما كان ما أنزله الله من البينات والهدى ، لم ينزل إلا لخير الناس وهداية البشر إلى الطريق المستقيم وكان كتم العلم وعدم تبليغه إلى الناس فيه تعطيل لوظيفة الرسالة التي بعث الله بها رسله وأنبياءه، وفيه خيانة للأمانة التي ائتمن الله عليها العلماء ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ** ﴾ لذلك شدد الله النكير على من كتم شيئًا مما يحتاج الناس إليه ، وخاصة في أمور الدين ، وأوعد بالعذاب الأليم لكل من كتم من آيات الله شيئًا ، أو أخفى من أحكام الشريعة ، لأن الكتمان جرم عظيم يستحق مرتكبه اللعن ... وفي هذا دلالة واضحة على عناية الإسلام العظيمة بنشر العلم والثقافة ، لتبليغ دعوة الله إلى الناس وانتشال الأمة من براثن الجهل والضلالة » [٢] .

ويقول الشيخ / محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ أيضًا :

« إن رفع المستوى العلمي للأمة كلها فريضة موزعة على الذكور والإناث ،

---

(١) كنوز من السُّنَّة ، ص (١٦) .

(٢) **انظر** : روائع البيان في تفسير آيات الأحكام (١ / ١١٩) ط . دار الفكر ، بيروت .

ومن أراد الله رفع درجتـه يسَّـر له المزيد من العلم ، وفي الحـديث : « **من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين** » والفقيه يجتهد في طاعة الله ويجتهد في تفقيه الناس حوله ابتغاء وجه الله ،وقد يكون تدريس العلم حرفة لبعض الناس، وهذا لا غنى للحياة عنه، ولكن على المعلمين ترك الطمع والمغالاة والمكاثرة من متاع الدنيا » (١).

ثم إن المسألة مشهورة في كتب الفقه : هل يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن وعلوم الدين أم لا ؟ .

ومعلوم أن العلماء انقسموا إلى قسمين : قسم يقول بعدم جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن أو تعليم العلوم الدينية ، لأن الآية أمرت بإظهار العلم ونشره وعدم كتمانه ، ولا يستحق الإنسان أجرًا على عمل يلزمه أداؤه ، كما لا يستحق الأجر على الصلاة لأنها قربة وعبادة ، لذلك يحرم أخذ الأجرة على تعليمها .

وقسم آخر لما رأوا تهاون الناس وعدم اكتراثهم لأمر التعليم الديني وانصرافهم إلى الاشتغال بمتاع الحياة الدنيا ، ورأوا أن ذلك يصرف الناس عن أن يعنوا بتعليم كتاب الله وسائر العلوم الدينية ، فينعدم حفظة القرآن وتضيع العلوم لذلك أباحوا أخذ الأجرة ، بل زعم بعضهم وجوبها للحفاظ على علوم الدين (٢) .

وبعيداً عن النظرة الفقهية للترجيح، نرى الفريقين جميعًا معهما الحق ، فالذين قالوا بعدم الجواز رأوا التعليم واجبًا كالصلاة والصيام وغيرها من سائر الواجبات الدينية ولا يجوز أخذ الأجرة على شيء منها ، والذين قالوا بالجواز رأوا مصلحة بقاء التعليم واستمراره ، فحرصوا على أن لا يتعرض المعلم للهوان ، فقالوا بجواز أخذ الأجرة التي تكفيه مئونة العيش ليفرغ نفسه للتعليم ، ولكن برغم هذه النظرة العميقة من فقهائنا فإن في الواقع ـ الآن ـ عدداً كبيراً ممن

(١) كنوز من السُّنَّة ، ص (١٦) .
(٢) **انظر** : تفسير آيات الأحكام للصابوني (١/ ١١٧) .

أُدرِجت أسماؤهم في سجلات المعلمين خطأً وهم لا يستحقون ، انصرفوا عن التعليم وبقيت أسماؤهم في السجلات وبقوا يعلِّمون ولكن ماذا يُعلِّمون ؟ ، إلا من رحم الله . . . .

✿ **أيها المعلمون والمدرسون وكل متعلم:** اتقوا الله في مصير الأمة ، الأمة تخلفت بسبب تقصيرنا، وليعلم كل منا أن الله سبحانه وتعالى يرضى منا أن نشكره على نعمائه ،ومن أعظم شكرك لربك على أن علمك هو أن تنشر العلم وتعلِّم غيرك .

وإذا أبت عليك نفسك وشيطانك يقولان لك : أنت لم تتعلم بالسهل ، بل أنفقت وتعبت وسهرت ، فلا تبذل العلم إلا بمقداره ، فقل لهما أنا لا أنسى ما ولدت عليه من الجهل ، كما قال ربي تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** (٧٨) ﴾ [النحل : ٧٨] ، وقال تعالى : ﴿ **وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا** ﴾ .

[النساء : ١١٣] .

إن المؤسسات التعليمية في كافة أرجاء العالم الإسلامي قد تراجعت وهبط مستواها ، وذلك لأسباب من أهمها : غياب المعلم المسئول الذي يحرص على أن يكون من أحب الناس إلى الله ، بأن ينفع الناس ويعلمهم ، فنرجوا أن تكون هذه الكلمات سبيلاً لإيقاظ الضمائر وزلزلة غيوم الغفلة عن القلوب . . . آمين .



المبحث السادس

نفع الناس بالأمــر بالمعروف والنهي عن المنكــر

المعروف : ما عرَّفه الشرع وأقـرَّه من أفعـال الخيـر .

والمنكـر : كل ما أنكره الشرع ومنعه من أفعال الشر .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الطرائق - إن لم يكن أهمها على الإطلاق - التي يعمّ بها الخير والنفع كافة أفراد المجتمع .

إن المنكر بمثابة نار تشتعل في فاعليه توشك أن تحرقهم وتهلكهم ، ومن حق الإنسان على أخيه إذا رآه يتعرض للهلاك أن يمد له يد العون لينقذه من الهلاك .

ولو قُدِّر أن إنسانًا منَّا تعرَّض للهلاك ورأى إنسانًا بجواره وكان هذا الإنسان يستطيع أن يعينه لكنه لم يفعل ، فإن المتعرض للهلاك سوف يحزن من قعود جاره عن معاونته لينجو من الهلاك .

وكان النَّبيّ ﷺ إذا دعا شخصًا إلى الإسلام فأجابه، ربما قال ﷺ :« **الحمد لله الذي أنقذه بي من النار** »[١] .

حدث أن رأى أحد الإخوة الدعاة ذات يوم شابًا مع شابة على شاطئ البحر في ظلمة الليل ، فناداه ، فلما جاءه قال له برفق : يا أخي ، لو افترضنا أن النار اشتعلت في جسدك ، ومررنا بك دون أن نحاول إنقاذك ، ولم نقدم لك شيئًا أما كان ذلك يحزنك ؟! .

قال : بلى ، فعاجله الداعية قائلاً : ونحن رأيناك تُعرِّض نفسك بما تصنع

---

(١) **انظر** : على سبيل المثال قصة إسلام الغلام اليهودي ، عند البخاري برقم (١٣٥٦) .

للنار ، فأردنا إنقاذك ، فاتق الله .

« والملاحظ أن المنكر يبدأ صغيراً محدوداً ثم يستغلظ ويتفرع ، فقد تبدأ الفاحشة بالنظرة الجريئة ، ثم تنتهي بقانون يبيحها ! ،وقد يبدأ العدوان بانتهاب فرد ثم ينتهي باجتياح شعب ! ، وقد تبدأ الحرية بالسكوت عن غباوة فرد ، ثم تنتهي بهلاك أمة » (١) .

ومن هنا تبدو حاجة المجتمع الضرورية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهو من أهم واجبات الدين وفروضة .

قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ :

« أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، واتقوا فتنة لا تُصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب ، أقيموا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن ذلك دعامة المجتمع ، فلا يقوم المجتمع إلا إذا شعر كل فرد من أفراده ، أنه جزء من كلٍ ، وأن فساد جزء من هذا الكل فساد للجميع ، وأنه كما تحب لنفسك أن تكون صالحًا ، فكذلك يجب أن تحب لأخيك أن يكون صالحًا لقول النَّبيّ ﷺ : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » (٢) .

وإذا شعر الإنسان بهذا الشعور النَّبيل،وأن هذا هو ما يقتضيه الإيمان ويفرضه عليه فإنه لابد أن يسعى في إصلاح المجتمع بشتى الوسائل بالطرق التي تتضمن المصلحة وتزول بها المفسدة ، فيأمر بالمعروف بالرفق واللين وليصبر على ما يحصل له من الأذى القولي والفعلي ، فإنه لابد من ذلك لكل داعٍ كما جرى ذلك لسيد المصلحين وخاتم النَّبيّين ، وليجعل الأمل والنجاح نصب عينيه ، فإن ذلك أكبر عون له على سيره في مهمته ، ولا يجعل لليأس عليه سبيلاً ، وإن على المؤمنين

---

(١) الشيخ / محمد الغزالي ، كنوز من السُّنَّة (ص٩٣) .
(٢) البخاري برقم (١٣) في الإيمان ، ومسلم برقم (٧١) في الإيمان

كلهم أن يتعاونوا في هذا الأمر الجليل العظيم ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يساعدوا من رأوه قائمًا به ، ويقوموا معه نصرة للحق وقضاءً على الباطل ، وأن لا يخذلوا الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أو يرجفوا به ، فإن ذلك نصرًا للباطل وإذلالاً للحق. . . إننا لو علمنا أن في بيت من بيوت هذه البلد مرضًا فتاكًا لأخذنا القلق والفزع ولاستنفدنا الأدوية،وأجهدنا الأطباء للقضاء عليه، هذا وهو مرض جسمي،فكيف بأمراض القلوب التي تفتك بديننا وأخلاقنا. . . » [١] .

وقد عظَّم الله - تعالى - ثواب الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، فبيّن أنهم هم المفلحون ، قال تعالى : ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** (١٠٤) ﴾ [آل عمران : ١٠٤] ، وأنهم أهل النجاة عند شيوع المنكرات ، قال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** (١٦٥) ﴾ [الأعراف : ١٦٥] .

وأنهم أهل رحمته - أيضًا - قال تعالى : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** (٧١) ﴾ [التوبة : ٧١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النِّعم** » [٢]. وقال أيضًا : « **من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا** » [٣] .

وحذَّر الإسلام كذلك من مغبَّة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأنه سيعم الفساد وجه الأرض ، ويكون هذا سببُ هلاك الجميع ، ففي القرآن الكريم :

---

(١) الضياء اللامع (ص٢٦٢-٢٦٣) نقلاً عن : منهج ابن عثيمين في الدعوة (ص ١٣٦) .
(٢) البخاري برقم (٤٢١٠) .
(٣) مسلم برقم (١٨) في الذِّكر والدعاء .

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) ﴾ [المائدة :٧٨-٧٩] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ [هود : ١١٦] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه ، ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم** » [١] .

✿ وضرب في حديث آخر مثلاً للمجتمع الذي يؤمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر،والذي يُعطل فيه هذا الواجب بالسفينة،ركبها قوم فكان بعضهم في أعلاها وبعضهم في أسفلها، فكان الذين هم في أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا لنشرب منه ، ولا نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا،وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعًا [٢].

✿ وكذلك جعل الإسلام للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضوابط وشروطًا حتى تَحصُل الثمرة المرجوة من ورائها ، فأمر بالرفق في أداء هذا الواجب وفي كل شيء ، فقال عليه الصلاة والسلام : « ... **إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف** » ... [٣] .

✿ وجعل لتغيير المنكر درجات بحسب ما يستطيع كل إنسان ، فقال ﷺ : «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم**

---

(١) الترمذي برقم (٢١٦٩) في الفتن ، وقال : « حديث حسن » .
(٢) هذا معنى حديث عند البخاري برقم (٢٤٩٣) .
(٣) مسلم برقم (٧٧) في البر والصلة .

يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان » [١] .

والخطر كل الخطر أن يترك الناس كل درجات التغيير ـ محتجين بالعجز ـ حتى الإنكار بالقلب ، قال عليٌّ رضي الله عنه : « إن أول ما تُغلبون عليه من الجهاد : الجهاد بأيديكم ، ثم الجهاد بألسنتكم ، ثم الجهاد بقلوبكم ، فمن لم يعرف قلبه المعروف وينكر المنكر نكس أعلاه أسفله » [٢] .

وعلى هذا فإن سقطت الدرجتان الأولى والثانية من درجات تغيير المنكر عن بعض الناس في بعض الأحوال ، فإن الدرجة الثالثة لا تسقط عن أحد أبداً بحال من الأحوال ما دام على قيد الحياة يزعم أنه مسلم !! .

وإذا كنا نقول إن نفع الإنسان المسلم لمجتمعه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نفع عظيم ، فإن أحق أفراد المجتمع بهذا النفع هم أهل بيتك أولاً ، فإن الرجل والمرأة ينبغي أن يكون كل منهما آمراً ناهيًا في بيته ليعين أهله على الطاعة، وليساعدهم على النجاة من المهالك .

وهذه الأولوية قد أمر الله تعالى بها فقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)** ﴾ [التحريم : ٦] .

فإذا رأيت تقصيراً في أولادك فمد لهم يد العون ، انظر من لا يصلي منهم ، وانظر المتبرجة منهن ، وانظر المفسد . . . وخذ على أيديهم قبل أن يهلكوا ، وربما لحقك من العقاب شيء،ويا ليت الناس يهتمون بنفع أولادهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما يهتمون بنفعهم بالمال ، مع أن المال قد يُفسدهم ، وليتهم يخافون عليهم من النار كما يخافون عليهم من الفقر ! .

---

(١) مسلم برقم (٧٨) في الإيمان .

(٢) **انظر** : سعد يوسف أبو عزيز ، صحيح وصايا الرسول ﷺ (٣/ ٤٣٨) ط . المكتبة التوفيقية ، القاهرة .

ويجدر بالناس أن يستجيبوا لمن يأمرهم بما فيه نفعهم وينهاهم عما فيه هلاكهم ، كما قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

ولكن للأسف نجد طغيان المادة يَحُول دون استجابة الكثيرين لمن يأمرهم وينهاهم ، ولو قيل للكثيرين إن معروفًا كالسلام أو قراءة القرآن يُعطي فاعله أجرًا ماديًا ، فالذي يُسَلِّم يحصل على ثلاثين درهمًا أو دولارًا ، لبحث الناس عمَّن يسلِّمون عليه ، والذي يقرأ آية من كتاب الله يُعطى ناقة سمينة ، لما ترك الناس المصاحف من أيديهم ... وهكذا .

وهذا يدل على ضَعْف االيقين والثقة فيما عند الله، الذي يقول : ﴿ **مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ** ﴾ [النحل : ٩٦] .



المبحث السابع

نفع الناس بتوعيتهم وتصحيح المفاهيم لهم

إن الفكر الإنساني كثيراً ما يتعرض لهزّات عنيفة ، تجعله يقبل الخرافة والمفاهيم الخاطئة ، وفي الغالب يسعى لهذا مُغرضون لهم أطماع يحققونها من وراء إشاعة المفاهيم الخاطئة .

ومعلوم أن السيطرة الفكرية مهمة جداً لما وراءها من وسائل وصور السيطرة وبسط النفوذ ، فالحاكم المستبد الذي يريد أن يسيطر ويضمن لسيطرته أطول مدة ممكنة ، يحيط نفسه بهالة من المفاهيم الفكرية التي تضفي عليه قداسة وأهلية للبقاء في مكانه .

والتاريخ يمدنا بصورة عجيبة ، فنقرأ في تاريخ أكاسرة الفرس أنهم كانوا يُشيعون في رعيتهم أنهم يجري في عروقهم دم إلهي ، ولذلك لما قَبِل الفكر الفارسي هذه الخرافة ، كان الناس ينظرون إلى الأكاسرة كآلهة ، ويعتقدون أن في طبيعتهم شيئًا علويًا مقدسًا ، ويرونهم فوق القانون وفوق الانتقاد وفوق البشر، لا يجري اسمهم على لسانهم،ولا يجلس أحد في مجلسهم، وينشدون الأناشيد بألوهيتهم، ويعتقدون أن لهم حقًا على كل إنسان وليس لإنسان حق عليهم... ومما يدل على مدى تقبل الفكر الإنساني لمثل هذه الخرافة هو رضاؤهم التام بالوضع القائم لدرجة أنهم لم يكونوا يفكرون في التخلص من هذا الوضع المهين حتى في أوقات ضعف الأكاسرة ، فربما وُلِّي عليهم طفل ابن سبع وأقل ، ومع ذلك لا يرفضون لأن في عروقه دم إلهي وغيره لا يملك هذا الدم ، ولا يجري في عروقه !!![1] .

---

(١) انظر : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، (ص ٤٠) .

ومثل هذه الادعاءات كنت تجدها عند قياصرة الرومان ، وقساوسة النصرانية وحاخامات اليهودية ، وضُلال المسلمين والمستبدين منهم .

ومن أنواع الهزّات العنيفة التي يتعرض لها الفكر الإنساني تزوير التاريخ من أجل خدمة فكرة معيَّنة ، فمثلاً : ما فعله كثير من المستشرقين من تزوير في تاريخ العلوم ، وحاولوا فيه تجريد المسلمين من أي إضافة إلى الحضارة الإنسانية ، في حين أنهم جعلوا ينسبون إلى مفكريهم كل فضل في تلك العلوم ، ونتج عن هذا التزوير للتاريخ أن وُجِد كثير من أبناء الإسلام يرضى التبعية للغرب ، وينبهر بفكره وحضارته المادية العفنة ، وربما يُصدّق أن الإسلام هو حجر عثرة في طريق تقدم المسلمين ، فيسارع ويدعو إلى تنحيته جانبًا ، ونزعه من واقع الحياة . وحصره في القلوب أو المساجد فقط .

كذلك من الهزّات العنيفة التي يتعرض لها الفكر الإسلامي : الثقافات المحصَّلة من الكتب المحشوة بالأساطير والخرافات ، سواء كان هذا من الخرافات المنقولة عن بني إسرائيل ، أو مما نسجه العقل الإسلامي في فترات الانحطاط .

وكل هذا بلا شك له آثار سلبية ضارة على المجتمع ، والساعي في تصحيح هذه المفاهيم وإصلاح هذا الواقع ، بلا شك يُقدّم نفعًا عظيمًا لهذه الأمة ويساهم بجهد كبير في توعيتها وتحصينها ضد الغزو الفكري الذي يوشك أن يُفقدها هويتها ، ويصنع جيلاً ممسوخًا من أبناء المسلمين ، بل هو والله جهاد كبير . . . .

✿ وتوعية الأمة بتصحيح المفاهيم عمل خطير ونفعٌ كبير ، ولخطورته فعله النَّبيّ ﷺ كثيراً في حياته ، فمثلاً : ذاك المفهوم الجاهلي الذي كان منتشراً في بلاد العرب إبان بعثته ﷺ والذي ينص على مناصرة الأخ ظالمًا أو مظلومًا ، وكانت تتنادى به قبائل العرب « **انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا** » ،ويهبُّون في عصبية حمقاء لنصرته ولو كان باغيًا فيبغون معه ، على حدّ قول قائلهم :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانًا !

فصحح النَّبيّ ﷺ هذا المفهوم ، فوضّح أن نصرة الأخ مظلومًا تكون بدفع الظلم عنه، ونصرته ظالمًا بحجزه عن الظلم ومنعه من التمادي فيه ، جاء في الحديث أنه قال: « **انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا** »، قالوا: ننصره مظلومًا ، فكيف ننصره ظالمًا ؟ ، قال : « **تحجزه عن الظلم ، فذاك نصر له** » (١) .

وكم يعين تصحيح مثل هذا الفهم الخاطئ على حصار العصبية البغيضة ، وقطع دابرها من المجتمع ليبقى التعاون على حفظ الحدود واحترام الحقوق .

❁ وفعله أبو بكر رضي الله عنه -أيضًا- يوم وفاة النَّبيّ ﷺ لاحظ أبو بكر أن ثمة فهم خاطئ كان علق ببعض الأذهان ، حتى تصور البعض أن النَّبيّ ﷺ لا يموت ولا يفارق الحياة ، وحدث هذا التصور من أكبر الرجال عقلاً وأذكاهم فهمًا ، عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي وقف يتهدد ويتوعد من يقول إن النَّبيّ ﷺ قد مات ، وجعل عمر يُعزِّز موقفه في هذا الفهم ، بأن رسول الله ﷺ ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع، ثم أقسم عمر رضي الله عنه قائلاً : « والله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى فليقطعن أيدي رجالٍ وأرجلهم زعموا أنه قد مات » (٢) .

فقام أبو بكر رضي الله عنه خطيبًا في الناس قال : « من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** (١٤٤) ﴾ [آل عمران : ١٤٤] قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما أن سمعت أبا بكر تلاها فهويت إلى الأرض وما تحملني قدماي ، وعلمت أن رسول الله ﷺ قد مات » (٣) .

---

(١) البخاري برقم (٢٤٤٤) .
(٢) **انظر** : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (٢ / ١٧٦)ط. دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٦٥م.
(٣) **انظر** : محمد محمد أبو شهبة ، السيرة النبوية (٢ / ٥٩٤) ط. دار القلم ، دمشق ،١٩٩٦م .

قال القرطبي - رحمه الله -:

« رحم الله الصدّيق الأكبر رضي الله عنه ، كم من مصيبة درأها عن الأمة ، وكم من فتنة كان المخرج على يديه ، وكم من مشكلة ومعضلة كشفها بشهب الأدلة من القرآن والسُّنَّة التي خفيت على مثل عمر رضي الله عنه ، فاعرفوا للصديق حقه رضي الله عنه ، واقدروا له قدره،وأحبوا حبيب رسول الله ﷺ، فحبه إيمان ، وبغضه نفاق » [١].

فانظر كم نفع الله الأمة بمثل هذه الوقفة لتصحيح الفهم، ويقدّر هذا العمل من نظر إلى حال من لم يستجب لمثل هذه التوعية، وفضّل قبول الخرافة، وقاتل الدنيا من أجلها، ونسج أوهامًا وخيالات على أساس منها، فانظر ما يقول الشيعة في رجعة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه [٢] ، واحمد اللهَ على فِعْل أبي بكر رضي الله عنه .

ومما يُؤْثر في مواقف الصدّيق رضي الله عنه في توعية الأمة بتصحيح فهمهما لكتاب الله تعالى ، ذاك الموقف الشهير حول آية سورة المائدة ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)** ﴾ [المائدة : ١٠٥] .

قال أبو بكر رضي الله عنه : إنكم تضعونها في غير موضعها ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمَّهم الله بعقاب من عنده** » [٣].

وهذا تصحيح لفهم لو فشا بين الناس لتعطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وانشغل كل إنسان بخاصة نفسه فقط .

واستمرت قوافل الحريصين على نفع الأمة بتوعيتها وتصحيح المفاهيم لها على مرِّ العصور الإسلامية - بحمد الله - وكان يبدو أثرهم وتشتد الحاجة إلى

---

(١) **انظر** : الجامع لأحكام القرآن (٤ / ٢٢٢) .

(٢) **انظر** : عن الرجعة في عقائد الشيعة ، كتاب « موسوعة الشيعة الاثنى عشرية » للدكتور / أحمد عليّ السالوس .

(٣) **انظر** : صحيح سُنن أبي داود برقم (٣٦٣٤) .

قيامهم بهذا الواجب في فترات الغربة والانحطاط على وجه الخصوص ، وانظر مثلاً : في فترة انحطاط الأمة الإسلامية عندما سيطر التتار والصليبيون على أكثر أجزائها ، كيف نهض العلماء يصحّحون المفاهيم للأُمَّة ويميطون عنها آثار الجهل والخرافة ، مما كان له عظيم الأثر في نهضة الأمة وصحوتها حتى استطاعت أن تتغلب على خصومها ، ومن أشهر من نفع الله بهم الأمة في تلك الفترة ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، وسلطان العلماء العز بن عبد السلام ، وابن الجوزي ، وابن القيم ، وابن كثير ، وتلاميذهم الذين لا يُحصَوْن كثرة .

وفي تاريخنا المعاصر رجال كثيرون أفنوا أعمارهم في هذا السبيل ، ونفع الله بهم العباد أيما نفع ، وكانوا سببًا مباشرًا في نهضة الأمة وصحوتها في الحقبة الأخيرة ، منهم على سبيل المثال :

الأستاذ / أنور الجندي ، والأستاذ / عمر فرّوخ ، والأستاذ / أحمد محمد شاكر ، والأستاذ / محمود محمد شاكر ، والأستاذ / محمد الغزالي ، والأستاذ / سيد قطب ، والأستاذ / أبو الحسن النبوي ، والأستاذ أبو الأعلى المودودي ، والأستاذ /وهبة الزحيلي ، والأستاذ / عماد الدين خليل ، والأستاذ / يوسف القرضاوي ، والأستاذ / عبد الحليم عويس ، والأستاذ / جمال عبد الهادي ... وغيرهم كثير .

وسأسوق لك بعض النماذج لبعض هؤلاء الساعين في نفع الأمة بتوعيتها لتقدّر خطورة وأهمية هذه الطريقة من طرائق النفع :

فمن المفاهيم التي صححها الأستاذ / عمر فرّوخ - رحمه الله - ذاك المفهوم الذي اشتهر في التاريخ في العصر االعباسي حول تهمة الزندقة وهي الاتهام بالكفر، وهي في ظاهرها تبدو دفاعًا عن ساحة الدين ، ولكن عمر فرُّوخ : « يرى أنها كانت وسيلة للتخلص من الخصوم السياسيين ، لا للدفاع عن الدين، فكم

من زنديق كان يمرح ويسرح لا يَلقي تأنيبًا ، فضلاً عن تعذيب ، وكم من تقيّ اتهم بالزندقة وقُتِلَ بها ، وما ذاك إلا لأن الأول لم يكن خطرًا على الدولة ، بينما الثاني كان خطرًا عليها ، من ذلك أن بشار بن بُرد عاش طوال حياته زنديقًا فلم يتعرض له أحد ، فلما هجا وزير المهدي « يعقوب بن داود » وأخاه « صالحًا » والي البصرة ، أثيرت قضية زندقته وقُتِلَ بها » [(١)].

وهذا من شأنه أن يُفهم الأمة أن التديُّن ليس إرهابًا ، وتهمة الإرهاب ليست دفاعًا عن الدين ولا الوطن ، ولا رجوعًا بالناس للوسطية ، وإنما هي للتخلص من الخصوم السياسيين أيضًا ، فكم من إرهابي « بلطجي » لا يُتعرض له ، وكم من تقيّ بسيط تلفق له تهمة الإرهاب والتنظيم السِّري فيلحق من راحوا ضحايا تهمة الزندقة في العصر العباسي !! .

ومثال آخر من مواقف النفع بالتوعية وتصحيح المفاهيم نسوقه من كتب الشيخ الغزالي ـ رحمه الله ـ وهو بصدد ما فعله بعض المستشرقين من تزوير لتاريخ العلوم بغرض تجريد المسلمين من أي إضافة إلى الحضارة الإنسانية .

يقول الغزالي ـ رحمه الله ـ :

« ... في جامعة تونس أستاذ فرنسي كان يدرّس علم الضوء أو البصريات كما يسمى في ثقافتنا القديمة ، وكان الأستاذ معجبًا كل الإعجاب بقانون « الهازن » الذي اكتشفه أحد علماء العصور الوسطى ، وسبق به سبقًا بعيدًا ، وفتح فتحًا جديدًا ، وسأله الطلاب : لكن من « الهازن » هذا ؟ ، فقال : أظنه من كبار العلماء الإسبان ! .

وذهب الطلاب إلى الدكتور بشير التركي ، وعنه نقلنا هذه الطرفة ـ فأجاب الرجل وهو دَهِش : الهازن هذا هو الحسن ابن الهيثم العالم العربي المسلم الشهير ،

(١) **انظر** : أ. أحمد العلاونة : عمر فرّوخ في خدمة الإسلام ، (ص١٥٢) ، سلسلة كتاب الأمة العدد (١٠٢) نقلاً عن كتاب بشار بن برد ، (ص٢٢) لعمر فرّوخ .

وهو راسخ في علم البصريات، وله نظرات يُضارع بها أعظم علماء عصرنا،ولا تقل مكانته عن آنشتين وأمثاله، لأن العلم ما زال ينهل من كشوفه وأحكامه وقد يبقى العالم معتمداً عليه ألف سنة أخرى، وهو من أول الأساتذة الذين درسوا في الجامع الأزهر:وأما قانونا الضوء المنسوبان إلى ديكارت ، فحسن بن الهيثم هو صاحبهما، وواضعهما قبل ديكارت بستة قرون، وكتاب علم المناظير لا يزال مرجعًا في موضوعه، وذهب الطلاب إلى الأستاذ الفرنسي بهذه الإجابة فلم ينطق بكلمة ، وكل ما حدث أنه أضرب إضرابًا تامًا عن الإشارة من قريب أو بعيد إلى « قانون الهازن » هذا ، فما ذكره بخير ولا شر ،وظاهر أن الأستاذ قد بوغت بعظمة عالم مسلم وهو يمقت الإسلام من الأعماق، فلاذ بالصمت وطوى القصة كلها .

على أنني عُدت إلى نفسي وإلى قومي أُوجِّه اللوم بعد اللوم ، وأتساءل بغيظ : فما مكانة الحسن بن الهيثم في تاريخنا ؟ ، وما مكانة غيره من علماء الحياة والكون كجابر بن حيان والخوارزمي ؟!! .

إننا قبل أعدائنا كنا أسرع إلى إهالة التراب عليهم ، ربما ظفر بالشهرة أبو نواس قديمًا ، وعبد الحليم حافظ حديثًا ، وأما الراسخون في العلم فهم يسيرون إلى جوانب الجدران،وينسحبون من الحياة كما جاءوها على استحياء أو في استخفاء... » [1].

وكم من مفاهيم صححها الغزالي - رحمه الله - في مؤلفاته ومحاضراته ، ومثله الأستاذ/ أنور الجندي في كتابه « مشكلات الفكر المعاصر » [2] ، والذي راح يصحح فيه مفاهيم عديدة « مثل مفهوم البطولة، الأصالة ، المعاصرة ... » وكم كتب تحت عنوان :مؤلفات في الميزان ، يُقيّم الكتب ويميز غثها من ثمينها ليقدمة للأمة ، وكم فضح خطط المبشِّرين والمستشرقين والهدَّامين ... كل هذا

---

(١) الطريق من هنا ، (ص ٢٥-٢٦) ط. دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٧م .

(٢) هذا الكتاب لا يستغنى عنه أي فرد يريد أن يصحح مفاهيمه ، وقد طبع عدة مرات منها طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف .

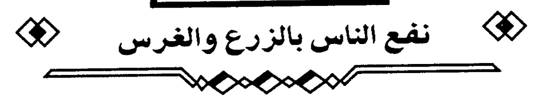
في سبيل توعية الأمة الإسلامية .

والأمة الإسلامية ـ الآن ـ في أمس الحاجة إلى من ينفعها بهذه الطريقة من طرائق النفع يصحح لها مفاهيمها :

- فيوقفها على تاريخها الصحيح بعد تجريده مما أضافته يد التزوير المغرضة إليه .
- يُعرِّفها كيف تربط حاضرها بماضيها المجيد لتصنع مستقبلها بإذن ربها .
- يُعرِّفها أصدقاءها وخصومها ، فكم بيننا من أحمق لا يدري مَنْ خصمه ولا مَنْ صديقه !! .
- ينمي عندها حاسة التحقيق والتمحيص لكل فكرة أو رأي أو رواية .
- يبصِّرها بأهداف الغزو الفكري والعولمة والمذاهب الهدَّامة ونحوها .
- وهذا من شأنه أن يعين على تكوين جيل النصر والتمكين والعزة والكرامة .
- وعلى الأمة جميعًا أن تشارك في هذا النفع العام ، كل فرد بحسبه :

- فالذي يستطيع تحقيق التراث وتصحيح المفاهيم وربطها بالواقع يفعله .
- والذي لا يستطيع هذا ، عليه أن يعرض ما حققه المحققون وصححه المصححون على الناس في خطبه ودروسه ومحاضراته .
- والذي لا يستطيع هذا ولا ذاك ، فلا أقل من أن يُعين هؤلاء المحققين والمصححين لمفاهيم الأمة ، إما بماله أو أن يقبل ويقنع بما يصححونه ـ ما دام حقًا ـ ويكفُّ أذاه وانتقاده عنهم ، فإن كثيرًا منَّا وخصوصًا من له قراءات معيَّنة ، لا يُعجبه التحقيق وتصحيح المفاهيم ، وتجده دائمًا يعترض قائلاً : ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ! .
- ونحتسب على الله أن يكون هذا العمل ـ من ذي نية صالحة ـ من أفضل القربات إلى الله تعالى ـ ، ولا تبرأ ذمة الأمة على الإجمال إلا بقيامها بهذا الواجب الكفائي .

المبحث الثامن



نفع الناس بالزرع والغرس

الزرع من أهم مقومات الحياة ، جعله الله قوتًا للإنسان والحيوان ، وعلّم الناس كيف يغرسوا ويزرعوا ، وجعل لهم في خلق النبات آيات ، تذكرهم بحاجتهم إلى الله مهما كثر عندهم القوت ، ونما الزرع .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ :

« تأمل الحكمة الإلهية في إخراج الأقوات والثمار والحبوب متلاحقة شيئًا بعد شيئ متتابعة ولم يخلقها كلها جملة واحدة ، فإنها لو خلقت كذلك على وجه الأرض ، ولم تكن تنبت على هذه السُّوق والأغصان لدخل الخلل وفاتت المصالح التي رُتبت على تلاحقها وتتابعها ، فإن كل فصل وأوان يقتضي من الفواكة والنبات غير ما يقتضيه الفصل الآخر، فهذا حارٌّ وهذا بارد وهذا معتدل، وكلٌّ في فصله موافق للمصلحة لا يليق به غيرُ ما خُلِقَ فيه . . . » (١) .

« ثم تأمل الحكمة في خلق الورق فإنك ترى في الورقة الواحدة من جملة العروق الممتدة فيها المبثوثة فيها ما يبهر الناظر ، فمنها غلاظ ممتدة في الطول والعرض ، ومنها دقاق تتخلل تلك الغلاظ منسوجة نسجًا دقيقًا مُعجبًا لو كان مما يتولى البشر صنع مثله بأيديهم لما فرغوا من ورقه في عام كامل،ولاحتاجوا فيه إلى آلاتٍ وحركات وعلاج تعجز قدرتهم عن تحصيله ، فبثَّ الخلاق العليم في أيام قلائل من ذلك ما يملأ الأرض سهلها وجبالها، بلا آلاتٍ ولا مُعين ولا فكرة ولا معالجة ، إن هي إلا إرادته النافذة في كل شيء . . .فتأمل الحكمة في تلك العروق المتخللة الورقة بأسرها لتسقيها وتوصل إليها المادة فتحفظ عليها حياتها ونضارتها

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢ / ١٠٠) .

بمنزلة العروق المبثوثة في الأبدان التي توصل الغذاء إلى كل جزء منه ... » [١].

« ثم تأمل حكمة اللطيف الخبير في كونها جُعلت زينة للشجر وسترًا ولباسًا للثمرة ووقاية لها من الآفات التي تمنع كمالها ، ولهذا إذا جُرِّدت الشجرة من ورقها فسدت الثمرة ولم يُنتفع بها ، وانظر كيف جعلت وقاية لمنبت الثمرة الضعيفة من اليبس ، فإذا ذهبت الثمرة بقي الورق وقاية لتلك الأفنان الضعيفة من الحر ، حتى إذا طفئت تلك الجمرة ، ولم يضر الأفنان عراها من ورقها وسلبها إياه لتكتسي لباسًا جديدًا أحسن منه ﴿ **فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾ الذي يعلم مساقط تلك الأوراق ومنابتها » [٢] .

« ثم تأمل الحكمة في كثرة الحبوب كالبر والشعير ونحوهما ،وتأمل النماء الذي وضعه الله في الزرع حتى صارت الحبة الواحدة ،ربما أنبتت سبع مئة حبة، ولو أنبتت الحبة حبة واحدة مثلها لا يكون في الأرض متسع لما يُبذر في الأرض من الحب،وما يكفي الناس ويقوّتُ الزراع إلى إدراك زرعه،فصار الزرع ينمو بهذا النماء ليفي بما يُحتاج إليه للقوت والزراعة وكذلك ثمار الأشجار والنخيل... » [٣].

ثم تأمل الحكمة في شجرة اليقطين والبطيخ والجزر ، كيف لما اقتضت الحكمة أن يكون حملُه ثمارًا كبارًا جعل نباته منبسطًا على الأرض إذ لو انتصب قائمًا كما ينتصب غيره من الزرع لضعفت قوَّته على حمل هذه الثمار الثقيلة، ولنُقضت قبل إدراكها وانتهائها إلى غاياتها ، فاقتضت حكمة مُبدعها وخالقها بسطها ومدها على الأرض لتتحمل عنه ثماره ... » [٤] .

« ثم تأمل أحوال هذه العقاقير والأدوية التي يخرجها الله من الأرض وما خصَّ به كل واحد منها وجعل عليه من العمل والنفع ... » [٥] .

---

(١) المرجع السابق (٢ / ١٠٤) .
(٢) المرجع السابق (٢ / ١٠٥) .
(٣) المرجع السابق (٢ / ١١٠) بتصرف .
(٤) مفتاح دار السعادة (٢ / ١١٤) .
(٥) المرجع السابق (٢ / ١٢٣) .

« فجدير بمن له مُسْكَةٌ من عقل أن يسافر بفكره في هذه النعم والآلاء ويكرر ذكرها لعله يوقفه على المراد منها : ما هو ؟ ، ولأي شيء خُلقَ ؟ ، ولماذا هُيئ ؟ ، وأي أمر طلب منه على هذه النعم ، كما قال تعالى : ﴿ **فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [الأعراف : ٦٩] ، فذكر آلائه تبارك وتعالى ونعمه على عبده سبب الفلاح والسعادة ، لأن ذلك لا يزيده إلا محبة لله وحمداً وشكراً وطاعة ... » [١] .

أرأيت كل هذه العظمة في الزرع التي تدل على عظمة الصانع ولو تأملها الناس كما تأملها العارف ابن القيم ما قطع أحد عن أحد مئونة ، ولا بخل بشيء إذ كيف يبخل بشيء لم يصنعه ! .

ولهذا عندما يغتر الإنسان بكثرة زرعه ويمنع رفده للآخرين يذكره الله تعالى بقوله : ﴿ **أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧)** ﴾ .

[الواقعة :٦٣-٦٧] .

قال الشيخ / السعدي ـ رحمه الله ـ :

« هذا امتنان منه على عباده يدعوهم به إلى توحيده وعبادته والإنابة إليه ، حيث أنعم عليهم بما يسَّره لهم من الحرث والزروع والثمار ، فتخرج من ذلك من الأقوات والأرزاق والفواكه ، ما هو من ضروراتهم وحاجاتهم ومصالحهم ، التي لا يقدرون أن يحصوها فضلاً عن شكرها وأداء حقها ، فقررهم بمنته فقال : ﴿ **أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ** ﴾ أي أأنتم أخرجتموه نباتًا من الأرض ؟ ، أم أنتم الذين أخرجتم سنبله وثمره حتى صار حبًّا حصيداً وثمراً نضيجًا ؟ ، أم الله الذي انفرد بذلك وحده وأنعم به عليكم ؟! ، وأنتم غاية ما تفعلون أن تحرثوا الأرض وتشقوها وتلقوا فيها البذر ثم بعد ذلك لا علم عندكم بما يكون بعد ذلك ، ولا

---

(١) المرجع السابق (٢/١١٣) .

قدرة لكم على أكثر من ذلك ، فنبههم على أن ذلك الحرث مُعرَّض للأخطار لولا حفظ الله وإبقاؤه لكم بلغة ومتاعًا إلى حين ... » (١) .

وقد جاء في الحديث أنه ﷺ قال : « **لا يقل أحدكم زرعت وليقل حرثت** » (٢) .

وإليك واقعة تدل على أن الناس إذا لم ينفع بعضهم بعضًا بما يزرعون يكون هذا سببًا في نقص أقواتهم وضيق عيشهم ، وهذه الواقعة هي المذكورة في قصة أصحاب الجنة ، يقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لاَّ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣)** ﴾ .

[القلم : ١٧-٣٣] .

قال صاحب الظلال - رحمه الله - :

« ها نحن أولاء أمام أصحاب الجنة - جنة الدنيا لا جنة الآخرة - وها هم أُولاء يبيتون في شأنها أمرًا ، لقد كان للمساكين حظ من ثمر هذه الجنة - كما تقول الروايات - على أيام صاحبها الطيب الصالح ، ولكن الورثة يريدون أن يستأثروا بثمرها الآن ، وأن يحرموا المساكين حظهم ... فلننظر كيف تجري الأحداث إذن ... لقد قرّ رأيهم على أن يقطعوا ثمرها عند الصباح الباكر دون أن يستثنوا منه

---

(١) تفسير السعدي (ص٧٩٩) .

(٢) تفسير ابن كثير (١٣ / ٣٨٤) وعزاه إلى الطبري .

شيئًا للمساكين ، وأقسموا على هذا ، وعقدوا النية عليه ، وباتوا بهذا الشر فيما اعتزموه ، فلندعهم في غفلتهم أو في كيدهم الذي بيتوه ، ولننظر ماذا يجري وراءهم في بُهْمة الليل وهم لا يشعرون ، فإن الله لا ينام كما ينامون ، وهو يدبر لهم غير ما يدبرون ، جزاء على ما يبتوا من بطر بالنعمة ومنع للخير ، وبخل بنصيب المساكين االمعلوم ، إن هناك مفاجأة تتم في خفية وحركة لطيفة كحركة الأشباح في الظلام ، والناس نيام ﴿ **فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ** ﴾ يذكّر بعضهم بعضًا ويوصي بعضهم بعضًا ويحمس بعضهم بعضًا ، ثم يمضي السياق في السخرة منهم ، فيصورهم منطلقين يتحدثون في خفوت زيادة في إحكام التدبير ليحتجنوا الثمر كله ويحرموا منه المساكين ﴿ **فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ** ﴾ وكأنما نحن الذين نسمع القرآن أو نقرؤه نعلم ما لا يعلمه أصحاب الجنة من أمرها . . .أجل فقد رأيناها كأنما هي مقطوعة الثمار بعد ذلك الطائف الخفي الرهيب، فلنمسك أنفاسنا إذن، لنرى كيف يصنع الماكرون المبيتون ﴿ **وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ** ﴾ أجل إنهم لقادرون على المنع والحرمان . . .حرمان أنفسهم على أقل تقدير، فكانت المفاجأة . . .وحاق بهم عاقبة البطر والمنع . . .ثم أخذوا يتلاومون . . .ثم تركوا التلاوم ليعترفوا جميعًا بالخطيئة ، أمام العاقبة الرديئة عسى أن يغفر الله لهم ويعوضهم خيرًا منها . . . » [١].

وفي المقابل انظر إلى من ينفع الناس بما يزرع كيف يساق إليه الرزق وتبقى عنده النعمة لينفع بها الناس، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : « **بينما رجل يمشي في فلاة من الأرض ، فسمع سحابة : اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرّة [٢] ، فإذا شرجة [٣] من تلك الشراج قد**

(١) في ظلال القرآن (٦ / ٣٦٦٥ ، ٣٦٦٦) .

(٢) الحرة : أرض ملبسة بحجارة سوداء ، انظر : شرح النووي على مسلم ١٨ / ٩١) .

(٣) الشرجة : موضع مسيل الماء . انظر المرجع السابق (١٨ / ٩١) .

استوعبت ذلك الماء كله ، فتتبع الماء ، فإذا رجل قائم في حديقته يحوِّل الماء بمسحاته ، فقال له : يا عبد الله ما اسمك ؟ ، قال : فلان للاسم الذي سمع في السحابة ، فقال له : يا عبد الله لِمَ تسألني عن اسمي ؟ ، فقال : إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان لاسمك ، فما تصنع فيها ؟ ، فقال : أما إذا قلت هذا ، فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثًا ، وأرد فيها ثلثه »(١) .

فانظر في هذه الصورة والتي قبلها ، كيف يتم تدبير الله عز وجل ؟ .

في الأولى : جاء الطائف الموكل من عند الله - تعالى - ليحوِّل نعمة الله عمَّن منعوها عن خلقه ، كما في الحديث : « **إن لله - تعالى - أقوامًا يختصهم بالنعم لمنافع العباد ، ويثبتها عندهم ما نفعوهم ، فإذا لم ينفعوهم حوَّلها الله عنهم إلى غيرهم** »(٢) .

وفي الثانية : جاء الموكل بتدبير الأمر يسوق السحاب ويوجِّه إليه الأمر أن ينزل ليسقي زرع من ينتفع بنعم الله ويرى شكرها في نفع عباد الله .

ثم انظر إلى الخراب في الأولى ، والعمران في الثانية ، واختر لنفسك !!! .

دعوة النبي ﷺ إلى نفع الناس بالزرع :

هذا وقد أُثر عن النبي ﷺ العديد من الأقوال التي ترغب الناس في أن يزرعوا ما ينفعهم وينفع إخوانهم من حولهم .

من ذلك ما رواه جابر بن عبد الله ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : « **ما من مسلم يغرس غرسًا إلا كان ما أُكل منه له صدقة ، وما سُرق منه له صدقة ، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة** »(٣) .

---

(١) مسلم برقم (٢٩٨٣) ك الزهد والرقائق .
(٢) السلسلة الصحيحة برقم (٢٦٩٢) .
(٣) مسلم في المساقاة برقم (٧) .

وفي رواية : « **فلا يغرس المسلم غرسًا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة** » (١) .

وقد كان الصحابة ﭫ يتفاعلون مع ما يسمعونه من كَلِم رسول الله ﷺ فيطبقونه عمليًّا ، فعن أبي الدرداء ﭬ أن رجلاً مرّ به وهو يغرس غرسًا بدمشق ، فقال له : أتفعل هذا وأنت صاحب رسول الله ﷺ ؟ ، قال : لا تعجل عليّ ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من غرس غرسًا ، لم يأكل منه آدمي ولا خلق من خلق الله إلا كان له صدقة** » (٢) .

بل وفي بعض الروايات تذكر أن أبا الدرداء ﭬ ، كان يغرس شجرة من الأشجار التي لا تثمر إلا بعد زمن ، وكان قد طعن في السن ، فقيل له : أتغرس هذه وترجوا ثمرها ؟ ، فقال : وما عليّ أن أغرسها فأموت فيأكل منها مَنْ بعدي ، فيدعو لي فيبلغني دعاؤه في قبري ، وآخر يقول ـ وهو يغرس شجرة الزيتون ـ غرس لنا من قبلنا فأكلنا ، ونغرس ليأكل من بعدنا (٣) .

وهذا يدل على عمق نظر الصحابة وطاعتهم لله ورسوله ﷺ وعملهم الخير الذي يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالنفع ، وليس بشرط أن يروا ثمرة هذا النفع في حياتهم ، وإنما يقدمون خطوات النفع ولو أن ينتفع به مَنْ بعدهم ، لأنهم يعلمون أن أجرهم لا يضيع عند من يقول عن نفسه ـ وهو أصدق القائلين : ﴿ **إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً** ﴾ [الكهف : ٣٠] .

حاجة الأمة إلى التنمية الزراعية :

إن الأمة الإسلامية الآن للأسف تأكل ما يزرع غيرها ، وتستورد قُوتَها في

---

(١) مسلم في المساقاة برقم (٧) .

(٢) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٦٠٠) وقال : حسن صحيح .

(٣) القرضاوي : الإيمان والحياة (ص٣٠٠) ط. مكتبة وهبة ، القاهرة .

مقابل ذلها وتخليها عن منزلتها ووظيفتها ، وانظر إلى ما يفعل كثير من المسلمين في الأراضي الزراعية ، حيث يزرعونها بما يضر الناس ولا ينفعهم «بالحشيش والأفيون والبانجو والقات ... وغيره» .

ولنأخذ لذلك مثالاً في بلد «الإيمان والحكمة» حيث حُوِّلت كثير من الأراضي الزراعية التي كانت تنتج أجود أنواع البن والقمح والشعير إلى مزارع للقات ، في ظل شرعية دينية وقانونية ، فالعلماء لا يحرمونه ، بل يُغْرون العامة بأنه يُعينهم على القراءة والفكر ، والقانون لا يجرِّمه .

يقول الأستاذ / محمد أحمد الرعدي :

« ... يكمن الخطر في أن شجرة القات تزرع على حساب زراعة بعض المزروعات المفيدة كالبن والذرة والفواكة ، وهذا التوسع المستمر في زراعة القات من سنة لأخرى على حساب المزروعات الأخرى فيه المزيد من التهديد للأمن الغذائي ، فنجد على سبيل المثال أن المساحة المزروعة بالقات عام ٧٣ / ٧٤ قد زادت بنسبة ١١,٨٪ عن المساحة المزروعة به عام ٧٢ / ٧٣ ، وبالتالي انخفضت المساحة المزروعة من الذرة في نفس العام بنفس النسبة ، والمتوقع للأسف الشديد زيادة في المساحات المزروعة بالقات مما يعرض الأمن الغذائي في اليمن لمزيد من المخاطر ، بل يُعرضه حقًا لمخاطر مميتة ، حتى في مجال الثروة الحيوانية كاد القات أن يقضي عليها ، لأن التوسع في زراعة القات قد قلل الأراضي التي كانت تزرع بالأعلاف المستخدمة كغذاء للماشية ، هذا فضلاً عما يترتب عليه من إهدار للوقت والصحة ، فيتراوح الوقت الضائع ما بين ثلاث إلى خمس ساعات يوميًا ... وتكثر سرطانات اللثة والفم وفقدان الشهية والقلق .. »[١]، بالإضافة إلى كميات الماء الرهيبة التي تستهلك في زراعة القات ، ويترتب عليها نقص في مياه الشرب والزراعة ، وهذا إهدار واضح للثروة المائية .

(١) أ. محمد أحمد الرعدي: القات السلوى والبلوى (ص٧٥-٨٢)، بتصرف . ط.مؤسسة العفيف ، صنعاء .

بل وانظر إلى ما يفعله إخواننا في السودان وغيرها من الأراضي الزراعية برغم خصوبتها وانتشار الأنهار فيها لكن المجاعات لا تنتهي . . . .

بينما يحدث هذا في بلادنا الإسلامية تسمع وتقرأ عن وعي وإدراك في كثير من البلاد الأخرى برغم بُعدهم عن طريق الله سبحانه « في سجون بريطانيا مجموعة من المجرمين ضاقوا بأوقاتهم ، قرروا أن يشغلوها بعمل نافع ، فقاموا بردم جانب من شاطئ البحر فأحالوه أرضًا صالحة للزراعة بلغت مساحة غير يسيرة ، وطالبوا المسئولين بأن يقسموا هذه الأرض بينهم ليتخذوا منها وسيلة إلى العمل الجاد والاستقرار الذي يغير تاريخهم . . . » [١] .

ولا أدري كيف تكون المقارنة بين « عمل أولئك الفتيان الذين وجدوا ضالتهم في مصارعة البحر ، فما زالوا به حتى استطاعوا أن يقتطعوا منه تلك البقعة التي فتحت لهم أبواب الأمل في حياة كريمة ، ولفتت أنظار الناس لاقتفاء أثرهم في التعامل مع البحر لاكتساب أراضٍ جديدة يضيفونها إلى وطنهم، ويجدون فيها المجال الرحب لزيادة مكاسبهم . . . »[٢] ، وبين إفساد المسلمين أراضيهم الزراعية !!! .

ألسنا نحن الذين أمرنا الله بإصلاح الأرض وعمارتها ، وجعل إصلاحنا لها سببًا في تملكنا لها ، كما قال ﷺ : « **من أحيا أرضًا ميتة فهي له** » [٣] ، ونهانا عن الإفساد فيها بقوله تعالى : ﴿ **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [الأعراف :٨٥] .

وانظر كيف وصف الأرض الخالية من الزرع بأنها ميتة ! ، فكأن الذي يشارع بالزرع لينفع نفسه والآخرين يشارك في صنع الحياة بإذن الله .

« ويقص القرآن الكريم علينا أهمية الزراعية في إخراج الأمة من مأزق الجدب

---

(١) الشيخ / محمد الغزالي : الطريق من هنا . (ص٣٠) ، ط . دار الشروق ، القاهرة .
(٢) المرجع السابق ، ص (٣١) .
(٣) سُنن الترمذي برقم (١٣٨٢) ، وقال : حديث حسن غريب .

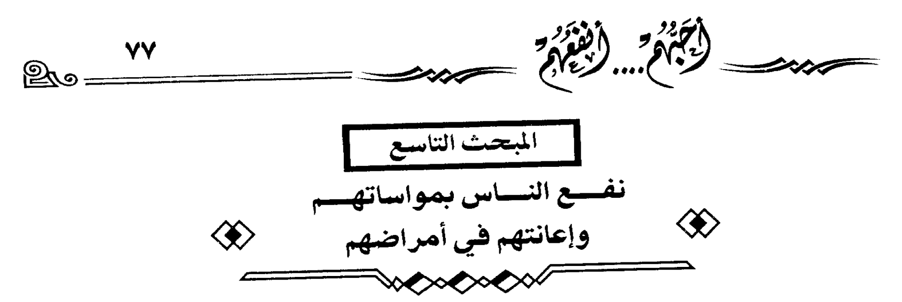
والقحط والمجاعات في قصة يوسف عليه السلام ، حيث أرشد الناس أن يزرعوا ، ووضع لهم خطة مستقبلية للزراعة وحددها بأربعة عشر عامًا ،وقد كان هدف يوسف عليه السلام إنقاذ البلاد من المجاعة والهلاك نتيجة لسنوات القحط التي تعرضت لها، فأمر قائلاً : ﴿ **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا** ﴾ أي متتابعات ﴿ **فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ** ﴾ [يوسف :٤٧] ، وتفاعل الشعب مع نبي الله يوسف عليه السلام ، فزرع وواصل الزرع ، واتخذوا المستودعات اللازمة لحفظ الحبوب والغلال ، وهذا الشعب الذي تفاعل مع نبي الله يوسف عليه السلام لا شك أنه سبق هذا التفاعل حملات من التوعية أثمرت هذا الوعي الذي شكل تفاعل المجتمع للعمل على إنقاذ الأمة ، لأنه بدون وعي المجتمعات يصبح التخطيط مجرد نظريات وأحلام ، توعية بمقدار الخطر القادم والجهود المبذولة والمطلوب مضاعفته من الجهود لخير ورفاهية الأمة ، وأشرف يوسف عليه السلام بنفسه على توزيع الأقوات خشية أن يتلاعب أهل الاحتكار بأقوات الناس ، فهم دائمًا ينشطون في مثل تلك الأوقات [١] .

وربما نسمع عن الغرب ما يرى حاجة المسلمين إلى القوت ، يرمي لنا فتاتًا من فائض انتاجه ومحاصيله الزراعية يسميها منحة ، يشتري بها ولاءنا ، ويُذل ويرغم بها أنوفنا ، في حين يسخر بنا في الوقت ذاته فيُهلك آلاف الأطنان من الحبوب في مياه المحيط مفضلاً هذا العمل على أن يكفي به قومًا لم يعملوا على كفاية أنفسهم !! .

فهل من غيور على دينه وعلى أمته يقول : لن نأكل إلا من غراس أيدينا ، ومن نتاج أرضنا نزرعها فتنبت فيتجاوب الزرع فيها مع ما حوله من تسبيح وتوحيد ، فيسبح ، هل من صاحب نظرة عميقة يقول : كما غرس لنا من قبلنا فأكلنا ، علينا أن نغرس ليأكل من بعدنا . . .

---

(١) **انظر** : د. نواف الحليسي : المنهج الاقتصادي في التخطيط لنبي الله يوسف عليه السلام (ص٢٥٣ – ٢٥٦)، ط. مطابع الأهرام ، القاهرة .



المبحث التاسع

نفع الناس بمواساتهم وإعانتهم في أمراضهم

إن الإسلام يحثنا على أن ننظر إلى المريض نظرة رفق ورحمة ، ويحثنا على عونه ومواساته في مرضه ، لأن هذا يكون له أثر طيب في رفع معنوياته في الوقت الذي يشعر أنه كالجواد الذي كبا ، يتطلع إلى من يأخذ بيده لينهض .

وقد حث الإسلام على عيادة المريض ، وبيَّن عِظَم ثوابها ، ففي كثير من حديث النبي ﷺ يأمر بهذا .

✿ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **عودوا المريض وأطعموا الجائع ، وفكوا العاني** » (١) .

✿ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من عاد مريضًا ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً** » (٢) .

✿ ويبيِّن أن عيادة المريض هي بمثابة زيارة لله - عز وجل - فيقول كما في الحديث القدسي : « **يقول الله - عز وجل - يوم القيامة : يا ابن آدم مرضتُ فلم تعدني ! ، قال : يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ ، قال : أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده؟، أما علمت أنك لو عُدْته لوجدتني عنده ؟** » (٣) .

وأمر كذلك بمحاولة تقديم العون والنفع والمساعدة للمريض بقدر المستطاع ، بالدعاء له ، فقد كان النبي ﷺ إذا عاد مريضًا دعا له .

يقول ابن عباس رضي الله عنهما : دخل النبي ﷺ على أعرابي يعوده ، وكان إذا دخل

---

(١) البخاري برقم (٥٦٤٩) ك المرضى .

(٢) صحيح المتجر الرابح (٨٩٧) وقال : رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

(٣) مسلم برقم (٤٣) في البر والصلة .

على من يعوده قال : « **لا بأس طهور إن شاء الله** » (١) .

وعنه أيضًا أن النبي ﷺ قال : « **من عاد مريضًا لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك ، إلا عافاه الله من ذلك المرض** » (٢) .

وذات يوم كان الصحابة جلوسًا عند النبي ﷺ فلُدغ رجلٌ بعقرب ، فقال رجل من الجلوس أرقيه يا رسول الله ؟ ، يستأذنه ، فقال النبي ﷺ - موجهًا أصحابه جميعًا لتقديم العون لأخيهم - : « **من استطاع منكم أن ينفع أخاه بشيء فليفعل** » ، وفي رواية « **فلينفعه** » (٣) .

ويفهم من هذا الحديث الذي يروي واقعة يأمر فيها النبي ﷺ بتقديم النفع أنه ينبغي ألا يتأخر من يستطيع نفع أخيه المريض بمداواته وإسعافه ورَقْيه والدعاء له بالشفاء ، ويدخل في هذا نفع الناس ببناء المستشفيات لهم وتوفير الدواء ، بل وما أعظم هذا الفعل ، فكم من مريض لا يجد الدواء ، فيا رجال الأعمال وأرباب الأموال ، اقتطعوا جزءًا من أموالكم ، خففوا به عن مريض ألمه ، ولو أن تُخرجوا زكاة أموالكم كما أفتاكم بذلك بعض العلماء لما يئسوا أن تتطوعوا !!! .

وعندما نتحدث عن نفع الناس وإعانتهم في أمراضهم ، فإن الأمر يوجَّه بصورة أخص إلى الأطباء المسلمين أن يجتهدوا ويحصلوا الجديد في الطب ويكفونا مؤنة التطفل على موائد الطب الغربية،وأن يرفقوا بالناس فيما يحصلون منهم على أجور.

ويؤسفنا أن فئة من الأطباء اتخذوا هذا العمل تجارة ووسيلة لتحصيل المال فقط ، دون أن تكون عنده نظرة أخروية ، فربما يُؤتَى بمريض في حالة قصوى من

---

(١) البخاري برقم (٥٦٥٦) ك المرضى .

(٢) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٤٨٠) وقال : رواه أبو داود والترمذي ، وحسنه النسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرط البخاري .

(٣) هذا ليس لفظ الحديث ، بل معناه ، وهو في مسلم برقم (٢١٩٩) .

المرض ، ويمتنع الطبيب عن معالجته ومداواته إلا أن يدفع المريض المبلغ الذي يحدده الطبيب !! .

فيا أمة الإسلام : انظروا إلى ما تفشى في الأمة من أمراض فتاكة وأدواء عضال ، وانظروا يا أهل الصحة والعافية إلى أهل المرض والبلاء ، وليتخيل كل منَّا نفسه لو كان مبتلى في صحته بالمرض - والعياذ بالله - كم تكون حاجته إلى العون من إخوانه والتخفيف عنه ؟ .

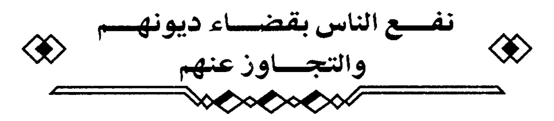
وبعد هذا النظر المصاحب للفكر والتأمل : ليتفاعلْ من أراد الله به خيرًا لنفع إخوانه في أمراضهم ، وليُعْرِض من يُعْرِض .

إذا رأيت المرضى ولم تَرِق لهم ، ولم يتحرك قلبك فاعلم أن هذا دليل حرمانك وقسوة قلبك ، أسأل الله لي ولك العافية والهداية .



المبحث العاشر

نفـــع الناس بقضـــاء ديونهـــم والتجـــاوز عنهم



الدَّيْن همٌّ بالليل وذلٌّ بالنهار، نعوذ بالله من غلبته ومن قهر الرجال، فالإنسان - خصوصًا من يعرف حرمة الأموال - إذا استدان يشعر أن الدنيا كلها تطالبه، أما الذين لا اعتبار للحرمات عندهم فلا بأس أن يستقرضوا الناس ثم يجحدوهم .

ولكن أين يذهبون من وعيد الله - تعالى - في قوله رسوله ﷺ : « ... **ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله** » (١) .

من أجل هذا اهتم الإسلام بالغارمين وحث على نفعهم بإعانتهم في قضاء ديونهم وإزاحة همّ الدَّيْن عنهم .

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل إقراض المحتاجين وإنظار المعسرين والتجاوز عنهم :

❁ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال : « **ما من مسلم يُقرض مسلمًا قرضًا مرة إلا كان كصدقتها مرتين** » (٢) .

❁ وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **أُتي الله بعبد من عباده آتاه الله مالاً ، فقال له : ماذا عملت في الدنيا ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ قال : يا رب آتيتني مالاً فكنت أبايع الناس ، وكان من خُلقي الجواز ، فكنت أيسِّر على الموسر ، وأنظر المعسر ، فقال الله تعالى : أنا أحق بذلك منك ، تجاوزوا عن عبدي** » (٣) .

---

(١) البخاري برقم (٢٣٨٧) ك الاستقراض .

(٢) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٩٠١) وأشار بأنه صحيح لغيره .

(٣) مسلم برقم (١٥٦٠) ك المساقاة .

✿ وفي رواية : « **إن رجلاً لم يعمل خيراً قط ، وكان يداين الناس فيقول لرسوله : خذ ما تيسر واترك ما عَسُر ، وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا ، فلما هلك ، قال الله له : هل عملت خيراً قط ؟ ، قال : لا ، إلا أنه كان لي غلام ، وكنت أُداين الناس ، فإذا بعثته يتقاضى قلت له : خذ ما تيسَّر واترك ما عَسُر وتجاوز ، لعل الله يتجاوز عنا ، قال الله ـ تعالى ـ قد تجاوزت عنك** » [١] .

فانظر كيف كان جزاء من تجاوز عن المعسرين فأقالهم من عثراتهم ، تجاوز الله عنه ، وأقاله من عثرة ما بعدها عثرة !! .

ويبيِّن ـ أيضًا ـ أن من يقرض الناس ويُنظرهم إذا أعسروا يُحسَب له بضعفي ماله صدقة ، فعن بريدة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من أنظر معسراً فله كل يوم مثله صدقه** » .

ثم سمعته يقول : « **من أنظر معسراً فله كل يوم مثليه صدقة** » ، فقلت : يارسول الله ، سمعتك تقول : « **من أنظر معسراً فله كل يوم مثله صدقة** »،ثم سمعتك تقول : « **من أنظر معسراً فله كل يوم مثليه صدقة** » !!، فقال : « **كل يوم مثله صدقة قبل أن يَحُلّ الدَّيْن ، فإذا حلَّ فأنظره فله كل يوم مثليه صدقة** »[٢] .

وهذا فضل يغفل عنه كثير من الناس ، فمن ذا الذي يقرض أخاه وهو يستحضر هذه النية ؟ .

ووعد كذلك ـ النبي ﷺ ـ من ينظر المعسرين ويتجاوز عنهم بأن يظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله .

✿ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من أنظر معسراً أو وضع له ، أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله** » [٣] .

---

(١) سُنن النسائي برقم (٤٦٩٦) ك البيوع .

(٢) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٩٠٧) وقال : رواه الحاكم وقال : صحيح على شرطهما .

(٣) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٩٠٩) وقال : رواه الترمذي وقال : حسن صحيح .

❁ وعن أسعد بن زرارة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من سرّه أن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، فلييسر على مُعسر أو ليضع عنه** » [١] .

ولم تكن هذه الأقوال إرشادًا نظريًا من رسول الله ﷺ بل وقائع عملية تشهد بتعاون المجتمع الإسلامي على عهد رسول الله ﷺ في قضاء ديون المدينين .

نماذج عملية للتجــاوز عن المعسرين :

[١] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : أصيب رجل في عهد رسول الله ﷺ في ثمار ابتاعها فكثر دَيْنه ، فقال رسول الله ﷺ : « **تصدقوا عليه** » ، فتصدق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دَيْنه ، فقال رسول الله ﷺ : « **خذوا ما وجدتم وليس لكم إلا ذلك** » يعني الغرماء [٢] .

فهذا الحديث فيه قصة رجل كان يتاجر في الثمار فخسر في تجارته فلحقه بذلك الديون وتكاثرت عليه ، فحث النبي ﷺ أصحابه على إعانته فأعانوه ، وحث الغرماء ـ أي أصحاب الديون ـ أن يتجاوزوا عنه ، وهذا تنفيذ عملي من رسول الله ﷺ لإرشاد أمته إلى نفع الآخرين بقضاء ديونهم والتجاوز عنهم .

قال الدكتور عبد العظيم بن بدوي معلقًا على هذا الحديث :

« فعلى أصحاب الأموال وذوي والثراء أن يتفقدوا الغارمين من الفقراء والأغنياء على حدٍّ سواء ، فإن الرجل إذا أوتى من المال نصيبًا ثم كان عليه من الدَّين أكثر مما عنده فهو من الغارمين ، فوجب على أصحاب الأموال أن يقضوا عنه دينه ، حتى يخرجوه من هذه الكربة التي نزلت به ، ولو أن أصحاب الأموال والغنى والثراء ، ولو أن رجال الأعمال تفقد بعضهم بعضًا وبحثوا عن الغارمين منهم وقضوا دَيْنهم لوقف الرجل على رجليه مرة ثانية ، وسعى فرزقه الله ولم يعد

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٩١٢) وقال : رواه الطبراني في الكبير وله شواهد .
(٢) مسلم برقم (١٥٥٦) .

يحتاج إلى الناس بعد ذلك ... » [١] .

[٢] وعن كعب بن مالك رضي الله عنه أنه تقاضى ابن أبي حدرد دينًا كان له عليه في المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته ، فخرج إليهما حتى كشف سِجْف حجرته فنادى : « **يا كعب** » قال : لبيك يا رسول الله ، قال : « **ضع من دَيْنك هذا** » ، وأومأ إليه ، أي : الشطر ، قال : لقد فعلت يا رسول الله ، قال : « **قم فاقضه** » [٢] . فانظر إلى التطبيق العملي في التجاوز عن المعسر استجابة لأمر رسول الله ﷺ .

[٣] وعن عبد الله بن أبي قتادة ، أن أبا قتادة كان له دَيْن على رجل وكان يأتيه يتقاضاه فيختبئ منه ، فجاء ذات يوم فخرج صبي فسأله عنه فقال : نعم هو في البيت يأكل خريزة ، فناداه فقال : يا فلان اخرج فقد أُخبرت أنك ها هنا ، فخرج إليه فقال : ما يغيبك عني ؟ ، فقال : إني معسر وليس عندي شيء .

قال : آلله إنك مُعْسر ؟ ، قال : نعم .

فبكى أبو قتادة ، ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من نَفَّس عن غريمة - أو محا عنه - كان في ظل العشر يوم القيامة** » [٣] .

[٤] وواقعة أخرى فيها أن رجلاً من الصحابة يقال له أبو اليسر كان له على رجل دَيْن ، قال : فأتيت أهله فسلمت فقلت : أثَّم هو ؟ .

قال : لا ، فخرج عليّ ابن له ... فقلت : أين أبوك ؟ .

فقال : سمع صوتك فدخل أريكة أمي .

فقلت : اخرج إليَّ فقد علمت أين أنت ، فخرج .

فقلت : ما حملك على أن اختبأت مني ؟ .

---

(١) د. عبد العظيم بن بدوي ، أحباب الله ، (ص ١٤٤٣) ط. دار الكتاب المنير ، القاهرة .

(٢) البخاري برقم (٤٥٧) ك الصلاة ، باب التقاضي في المسجد .

(٣) مسند الإمام أحمد برقم (٢٢٧٢٧) ومسلم بمعناه برقم (١٥٦٣) .

قال : أنا والله أحدثك ثم لا أكذبك ، خشيت والله أن أحدثك فأكذبك أو أعدك فأخلفك ، وكنت صاحب رسول الله ﷺ ، وكنت والله مُعْسرًا .

قال : قلت : آللّه ؟ .

قال : آللّه ؟ .

قلتَ : آللّه ؟ .

ثم قال : فأتى بصحيفة فمحاها بيده ، ثم قال : فإن وجدت قضاءً فاقضني وإلا فأنت في حلٍّ ، فأشهدُ بصر عيني هاتين - ووضع إصبعيه على عينيه - وسمع أذنيّ هاتين ووعاه قلبي - وأشار إلى مناط قلبه - رسول الله ﷺ وهو يقول : « من أنظر مُعْسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله »[١] .

وفي هذا الحديث والذي قبله قصتان فيهما رجلان طبقًا عمليًا ما وجَّه إليه النبي ﷺ من الرفق بالمدين وإنظاره أو التجاوز عنه ، وذلك امتثالاً منهم لأمر رسول الله ﷺ ويقينًا في صدق ما وعد به من الخير لمن فعل مثل هذا الفعل .

نــــداءٌ رفيـــق :

ونختم هذه الطريقة العملية لنفع الناس بقضاء ديونهم والتجاوز عنهم بهذا النداء الإلهي الرفيق : ﴿ **وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** (٢٨٠) ﴾ [البقرة : ٢٨٠] .

« إنها السماحة الندية التي يحملها الإسلام للبشرية ، إنه الظل الظليل الذي تأوى إليه البشرية المتعبة في هجير الأثرة والشح والطمع والتكالب والسعار ، إنها الرحمة للدائن والمدين والمجتمع الذي يظل الجميع ... إن المعسر في الإسلام لا يُطارَد من صاحب الدَّيْن أو من القانون والمحاكم ، إنما يُنظر حتى يُوسر ... ثم إن

(١) مسلم برقم (٣٠٠٦) .

المجتمع المسلم لا يترك هذا المعسر وعليه دين ، فالله يدعو صاحب الدَّيْن أن يتصدق بدَيْنه إن تطوع بهذا الخير ، وهو خير لنفسه كما هو خير للمدين ، وهو خيرٌ للجماعة كلها ولحياتها المتكافلة ... ثم يجيء التعقيب العميق الإيحاء ، الذي ترجف منه النفس المؤمنة ، وتتمنى لو تنزل عن الدَّيْن كله ، ثم تمضي ناجية من عذاب الله يوم الحساب : ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** (٢٨١) ﴾ [البقرة : ٢٨١] [١] .

---

(١) في ظلال القرآن (١ / ٣٣٢ ، ٣٣٣) .

المبحث الحادي عشر

نفع الناس بستر عوراتهم

إن ستر المؤمن للمؤمن أعظم ما ينفعه به ، كيف لا وهتكه لستره من أحط ما يضره به ، ولقد حث الإسلام على ستر المؤمن للمؤمن وبيَّن أنه من أفضل القربات إلى رب البريات ، والطريق الموصل إلى أعلى الجنات .

والستر الذي يحث عليه الإسلام هو من اسم الله « الستِّير » ، كما في الحديث : « **إن الله - عز وجل - حييٌّ ستِّير ، يحب الحياء والستر ، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر** » [١] .

« والستِّير هو الله الذي يستر علي عباده أثناء المعصية فلا يفضحهم ، فإن تابوا إليه قبلهم وغفر لهم ، وهو سبحانه يحب الستِّير من عباده : الذي يستر نفسه فلا يبدي عورته ، وإذا أذنب فستره الله ستر على نفسه ، ولم يحدِّث أحداً بذنبه ، فإن الله إذا ستر في الدنيا فهو أكرم من أن يفضح في الآخرة » [٢] ، والستِّير أيضًا هو الذي يستر غيره فلا يفضحهم إن علم من عيوبهم شيئًا ، ولا يتطلع على عوراتهم .

وستر الإنسان على نفسه شيء طبيعي لأنه لا يحب الافتضاح إلا من زال عنه الحياء ، أما سترهُ غيره فهذا شيء يحتاج إلىٰ مجاهدة وبذل واحتساب ، لأن الكثير منا ربما يضعف فيستجيب لغريزة حب التطلع ، فيتتبع عورات الآخرين ، أو يسأل ويتدخل فيما لا يعنيه من شئونهم وأحوالهم .

ولقد كان النبي ﷺ كثيراً ما يدعو إلى الستر ويحث عليه ويرغِّب فيه ، لأنه أمان للمجتمعات وصيانة للعورات .

---

(١) صحيح سُنن أبي داود برقم (٣٣٨٧) ط . دار المعارف ، الرياض ، ١٤٢١هـ .
(٢) د . عبد العظيم بن بدوي ، أحباب الله ، (ص ٢١٠ – ٢١١) بتصرف يسير .

حث المسلم على التستر في نفسه أولاً :

فحث أولاً على ستر المسلم نفسه وخصوصًا إذا زلَّ فارتكب معصية ، وهذا من أجل أن لا تشيع الفاحشة ولا تنتشر حتى من مجرد ذكرها والكلام عنها ، ولك أن تنظر الأثر السلبي لما يُعرَض من حوادث وجرائم في الصحف والمجلات والقنوات الآن ، وإن زعم ناشروه أنهم يقصدون زجر وردع بقية الناس عندما يرون حال أصحاب هذه الجرائم وما آلوا إليه ، إلا أن الردع والزجر في حدود الله وليس في الاعترافات والتفاصيل التي تنشر على الملأ ، فيتعلم منها حتى السُّذج كيف تُنفَّذ الجريمة .

إن من أكبر الذنب أن يذنب العبد ذنبًا فيستره ربه ثم يصبح فيكشف ستر الله عنه، وهؤلاء الهاتكون لستر الله عنهم ، هم المجاهرون الذين أخبر النبي ﷺ أن كل مخطئ من أُمَّته يعافي إلا هم، قال ﷺ : « **كل أُمَّتي يُعافى إلا المجاهرون** »، قيل : يا رسول الله ، ومن المجاهرون ؟ ، قال : « **الذي يعمل العمل بالليل فيستره ربه عز وجل ، ثم يصبح فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا ، فيكشف ستر الله عز وجل عنه** » [١] .

✿ **ويُأمر المسلم بالتستر في نفسه :** فينهى عن دخول الحمامات العامة بغير إزار فيقول عليه الصلاة والسلام : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من ذكور أمَّتي فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام** » [٢] . ويتوعد من لا تحب التستر من النساء ، فيقول : « **والذي نفسي بيده ما من امرأة تنزع ثيابها في غير بيت أحدٍ من أمهاتها ، إلا وهي هاتكة كل ستر بينها وبين الرحمن ـ عز وجل** » [٣] .

---

(١) مجمع الزوائد برقم (١٧٤٧٥) ، ومسلم برقم (٢٩٩٠) بلفظ قريب .
(٢) مجمع الزوائد برقم (١٥١٦) ، وصححه المحقق عبد الله محمد الدرويش .
(٣) صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٦٩) .

ويأمر بالتستر حتى من المخلوقات: التي هي غير مرئية لنا كالجن والملائكة ، فيقول في التستر من الجن : « **سَتْر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا دخل أحدهم الخلاء أن يقول : بسم الله** » [(١)] .

وقال في التستر من الملائكة : « **إياكم والتعري فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط وحين يفضي الرجل إلى أهله فاستحيوهم وأكرموهم** » [(٢)] .

وإذا بلغ المسلم هذا الحدَّ من التستر في نفسه لا شك أنه سيبادر إلى معاملة إخوانه من نفس المنطلق .

حثّ المسلم على ستر عورات المسلمين :

لقد وردت توجيهات نبوية سديدة بستر عورات المسلمين ، فمن ذلك :

❁ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **لا يستر عبدٌ عبداً في الدنيا إلا سترة الله يوم القيامة** » [(٣)] .

❁ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرَّج الله كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة** » [(٤)] .

❁ وعن مسلمة بن مُخَلَّد رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من ستر على مؤمن عورة ، فكأنما أحيا مؤودة** » [(٥)] .

❁ وهذا حديث رَحَل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما من المدينة إلى مصر من أجل

---

(١) صحيح سُنن الترمذي برقم (٦٠٦) .
(٢) رواه الترمذي برقم (٢٨٠٠) ك الأدب .
(٣) مسلم برقم (٢٥٩٠) ك البر والصلة .
(٤) البخاري برقم (٢٤٤٢) ، ومسلم برقم (٢٥٨٠) .
(٥) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٣٣٧) وأشار بانه صحيح لغيره .

سماعه ، أتى مسلمة بن مخلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فقال له : « حديث بلغني أنك ترويه عن رسول الله ﷺ في ستر المؤمن ، جئت أسمعه » [١] . فحدثه به .

ونحن لم نرحل في طلبه وإنما جاءنا هو ، ورحل في طلبنا ، فيَاقِلَّة حيائنا إن لم نعمل به !! .

وانظر إلى ثواب العمل به « فكأنما أحيا موؤدة » ، وهذا يُفهم منه أن من هتك ستر مسلم فكأنما قتله أو وأده .

وحذَّر كذلك من تتبع عورات المسلمين بتحذيرات تنخلع لهولها القلوب، فمن ذلك:

✿ عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : صَعِد النبي ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال : «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يُفْضِ الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته ، يفضحه ولو في جوف رحله** » [٢] .

✿ وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه ﷺ قال : « **... ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته** » [٣] .

✿ فانظر هل يصعد النبي ﷺ المنبر ، ويخطب بهذه اللهجة ، ينفي إيمان القلب ، وهو التصديق الجازم ، عمَّن يتتبعون عورات الناس ، إلا لأمر خطير غاية الخطورة ؟ .

✿ ويتوعد بفضيحة محققة لمن يكشفون عورات المسلمين مهما تحصنوا في بيوتهم .

✿ ويذكر أنه يترتب على تتبع عورات المسلمين إفسادهم ، فيقول كما ورد عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إنك إن اتبعت عورات**

---

(١) من نفس الحديث السابق .

(٢) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٣٣٩) وأشار بانه حسن صحيح .

(٣) صحيح سُنن ابن ماجه برقم (٢٠٦٣) .

المسلمين أفسدتهم أو كِدْت تفسدهم »[١]،وأي إفساد يحصل بكشف العورات وتتبعها !! .

وعلى هذا فالقاعدة : « من سَتَر سُتِر ، ومن هتك فُضِح » .

قال بعض السلف : « أدركت قومًا لم يكن لهم عيوب فذكروا عيوب الناس فذكر الناس لهم عيوبًا ، وأدركت قومًا كانت لهم عيوب فكفوا عن عيوب الناس فنُسيت عيوبهم ، وما أحسن قول القائل :

إذا شئت أن تحيا سليمًا من الأذى	وحظك موفور وعرضك صيِّن
لسانك لا تذكر به عورة امرئ	فكلك عورات وللناس ألسن
وعينُك إن أبدت إليك مساوئًا	فصنها وقل يا عين للناس أعين[٢]

ومن خلال ما تقدم يتضح أنه يجب ستر عورات المسلمين ، وهي ليست في شيء دون شيء ، بل كما في الحديث : « **كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه** »[٣] .

ويتأكد ستر عورات المسلمين العامة ، بعدم إفشاء أسرارهم للعدو فإن حصل فهى الخيانة العظمى للإسلام والمسلمين ، وكذلك ستر عوراتهم الخاصة : نسائهم وأموالهم وبيوتهم وأعراضهم وعيوبهم ... وغير ذلك .

هتكٌ جماعي لستر المؤمنات :

إن هذه الدعوة المسعورة التي تنادى بتعرية المرأة وكشف وإظهار مفاتنها وزينتها تحت دعاوى مختلفة ، حرية المرأة ، أو حقوق المرأة ، إن هي إلا محاولات لهتك سترها .

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٣٤٢) وأشار أنه صحيح .
(٢) د. عبد العظيم بن بدوي ، أحباب الله ، (ص ٢١١) .
(٣) سُنن أبي داود ، برقم (٤٨٨٢) .

وهَتْكُ سترها في حقيقة أمره : هتْكٌ لستر المجتمع كله، ولا أدري هل الذين ينادون بهذا من أبناء المسلمين لم يقفوا على توجيهات نبيهم ﷺ ، وما فيها من الترغيب فيحرصوا على ما رغَّب فيه ، والترهيب فيحذروا مما رهَّب منه ! .

أصبح المتهتكون الذين يسعون لهتك ستر المجتمع وإفساده ، لهم بوق ينفخون من خلاله في كل بيت ، ويتتبعون به كل امرأة ليكشفوا سترها ويفسدوا بها ، ويحولونها أداة للإفساد الرخيص ، ولقد أجابهم في هذا ولبّى نداءهم كثير ممن لا خلاق لهم ولا يعرفون معنى الحشمة والتستر والحياء ، فكل داعٍ إلى الحجاب داع نفع المجتمع بستر عوراته ، والله يستره ويجزل له المثوبة إن شاء الله تعالى .

✿ والعجيب للأسف أن تبلغ الخيانة من مسلم في كشف عورات المسلمين والدلالة عليها ، أن يقوم أحدهم باستقطاب مسلمات إلى معسكرات الكفرة الأمريكان في العراق ، وهذا بدلاً من أن يخلف الغزاة في أهلهم وذويهم بالحفظ والستر فيكون له كأجرهم كما قال النبي ﷺ : « **من خلَّف غازيا في أهله بخير فقد غزا** »[١] . فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

---

(١) مسلم برقم (١٨٩٥) .

المبحث الثاني عشر

نفع المسلمين بالدعاء لهم بظهر الغيب

الدعاء سلاح لا يغفل عنه إلا مقطوع الصلة بربه سبحانه ، ولا يهمله إلا من ضعف يقنه بأن ربه قريب ، أقرب إليه من حبل الوريد ، ولا يتقاعس عنه إلا من يجهل أن ربه يغضب إن لم يُسأل .

أليس هو الذي قال عن نفسه - تنزه وتقدس - ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** (١٨٦) ﴾ [البقرة : ١٨٦] ، وقال : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** (٦٠) ﴾ [غافر : ٦٠] .

فلم التوجه إلى غيره وغيرهُ إن سألناهم تبعّدوا عنا !!

لا تسألن بُنيَّ آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تُحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبُنيّ آدم حين يُسأل يغضب

ما أكثر ما يرى الإنسان منَّا أخًا له في ضيق أو كرب أو شدة ولكنه لا يستطيع أن ينفعه بشيء يقدمه لينفس عنه كربه ، فهل هذا يعني أنك عاجز في هذا الوقت ؟ ، كلا .

فإن بإمكانك أن تقدم العون والنفع - بإذن الله - إذا توجهت إلى الله تدعوه بشأن أخيك بظهر الغيب ، أن ينفس كربه ، ويفرّج همّه ، وقد وعد النبي ﷺ بأن الله يوكل ملكًا يُؤمِّن على دعائك ، ويقول : لك مثلها .

❁ فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « **ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك الموكل : ولك بمثل ذلك** » [١] .

---

(١) مسلم برقم (٢٧٣٢) ك الذكر .

❁ وفي رواية « **دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك : آمين ولك بمثل** » [١] .

فمن ذا الذي رأى أخًا له في شدة أو كرب فقام فتوضأ ، وصلى ركعتين يلهج فيهما بالدعاء إلى الله أن يفرِّج عن أخيه كربه ، وإنها ولله لأعظم وسيلة لقضاء حاجات الإخوان ، والحاجات الشخصية .

قال الإمام الغزالي - رحمه الله - في حقوق الإخوة :

« الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته بكل ما يحبه لنفسه ولأهله وكل متعلق به ، فتدعو له كما تدعو لنفسك ، ولا تفرق بين نفسك وبينه ، فإن دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق » [٢] .

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول : « **إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم** » [٣] .

ونظرة الإمام الغزالي إلى دعاء الأخ لأخيه على أنه حق من الحقوق نظرة سامية تدفع كل مؤمن إلى أداء هذا الحق لإخوانه في حياتهم وبعد مماتهم ، وقد جاءت أحاديث كثيرة توضح أن الله تعالى يقبل دعاء المؤمن للمؤمن وشفاعته فيه بعد موته ، فمن ذلك :

❁ ما رواه مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « **ما من ميت يموت فيصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شُفِّعوا فيه** » [٤] . وفي رواية : « ... **فيصلى عليه أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه** » [٥] .

---

(١) مسلم برقم (٢٧٣٣) ك الذكر .
(٢) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين (١ / ٦٣٨) ، ط . دار ابن الهيثم ، القاهرة .
(٣) المرجع السابق (١ / ٦٣٨) .
(٤) مسلم برقم (٩٤٧) ك الجنائز .
(٥) مسلم برقم (٩٤٨) ك الجنائز .

❁ وعند ابن حبان أن رسول الله ﷺ قال : « **ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة أبيات من جيرانه ... أنهم لا يعلمون عنه إلا خيراً إلا قال الله : قد قبلت علمكم فيه ، وغفرت له ما لا تعلمون** » [(١)] .

❁ ويأبى الله إلا أن يجزل المثوبة لمن يتحرك بهذه العاطفة لينفع أخاه بالدعاء والشفاعة، فيقول عليه الصلاة والسلام : « **من شهد جنازة فصلى عليها وانتظر حتى تُدفن كان له من الأجر قيراطان ، القراط مثل الجبلين العظيمين** » [(٢)] .

❁ **تُرى :** ما الحكمة في أن الله تعالى يُعَظِّم أجر من يشهد جنازة ويثني عليها خيراً ، ويستجيب ويقبل شفاعة الشافعين فيغفر للميت ، لعل ذلك ـ بعد فضل الله ـ راجع لما يرى الله من تراحم عباده فيما بينهم ومن ترابط علاقاتهم ، وحرص الحيّ على نفع أخيه الميت بالدعاء ، فكأنه تعالى يقول : أنا أرحم منكم وأجود وأكرم ، وأنفع بهذا العمل حيَّكم وميتكم .

❁فما أحوج الإنسان منا إلى دعاء إخوانه،وما أحسنه من عون يُقدَّم من أخ لأخيه.

أحق الناس بالدعاء لهم بظهر الغيب : المجاهدون :

إن ما يعانيه إخواننا المسلمون ـ الآن ـ في جهادهم ضد أعداء الله من المحتلين سواء في فلسطين أو في العراق أو أفغانستان ... أو غيرها من البقاع شيء مهين ، ولا أقلَّ من أن ندعو لهم ، إذا عجزنا أو ضعفنا أوجَبُنّا عن نصرتهم .

وانظر في غزوة تبوك لما جاء نفر من الضعفاء والمرضى ومن لا يجدون ظهراً فردّهم النبي ﷺ قائلاً : ﴿ **لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ** ﴾[التوبة: ٩٢]،ولأنهم كانوا صادقين في نية الخروج للجهاد ﴿ **تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا**

---

(١) صحيح ابن حبان (٣٠٢٦) ومجمع الزوائد برقم (٣٩٦٠) وقال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٢) البخاري برقم (١٣٢٥) ك الجنائز ، بلفظ قريب .

يُنفقُونَ﴾ [التوبة : ٩٢] ، فجاء القرآن يرفع عنهم الحرج ﴿ **لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ [التوبة : ٩١] ، لكن بشرط ﴿ **إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ .

قال القرطبي : إذا عرفوا الحق وأحبوه وأحبوا أولياءه وأبغضوا أعداءه . . . ونصحوا لله ورسوله وللعامة بترك معاداتهم وإرشادهم وحب الصالحين منهم والدعاء لجميعهم ، وإرادة الخير لكافتهم » [١] .

❁ ولذلك قرر النبي ﷺ أن أولئك النفر الذين حبسهم وبقوا في المدينة ينصحون لله ورسوله شاركوا من خرج للجهاد فقال : « **لقد تركتم بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ، ولا أنفقتم نفقة ولا قطعتم وادياً إلا وهم معكم فيه** » ، قالوا، يا رسول الله : كيف يكونون معنا وهم بالمدينة ؟ ، قال : « **حبسهم العُذر**»[٢] .

❁ فماذا نقول نحن لربنا - تعالى - وهو يعلم ركوننا إلى الدعة والسلامة ، ويعلم فساد نياتنا - إلا من رحم - ويرى أن أكثرنا لم ينصح لله في عباده ولا لرسوله ﷺ في أمته ، وحتى الدعاء بظهر الغيب بخل به أكثرنا ، بل مَنْ الذين يهتم بأمور المسلمين ويتابع أخبارهم ؟!! .

قال الشيخ / سيد قطب - رحمه الله - في التعليق على قول الله تعالى: ﴿ **تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ** ﴾ قال :

« بمثل هذه الروح انتصر الإسلام ، وبمثل هذه الروح عزت كلمته ، فلننظر أين نحن من هؤلاء ، ولننظر أين روحنا من تلك العصبة ، ثم لنطلب النصر والعزة إن استشعرنا من أنفسنا بعض هذه المشاعر ، وإلا فلنسدد ولنقارب ، والله المستعان » [٣] .

---

(١) تفسير القرطبي (٨ / ٢٢٦) ط . دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بتصرف .
(٢) صحيح سُنن أبي داود برقم (٢٥٠٨) ك الجهاد .
(٣) في ظلال القرآن (٣ / ١٦٨٦) .

المبحث الثالث عشر

نفع الناس بإماطة الأذى عن الأماكن العامة

لقد اعتبر الإسلام الأماكن العامة كالطرقات والمساجد والحمامات ، ومكان جلب الماء للشرب والمدارس والمستشفيات، وما يُلحق بها شركة بين أفراد المجتمع، ومن هنا ووفق مقاصده العامة في مراعاة مصلحة الجماعة :

❁ حرص على صيانة تلك الأماكن .

❁ الحفاظ عليها من التلف بتعهدها بالنظافة وإماطة الأذى عنها .

وتنوعت الأساليب الشرعية في الحث على الحفاظ على الأماكن العامة بالتنظيف وإماطة الأذى :

❁ فقد جعل إماطة الأذى عن طريق الناس من شعب الإيمان ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **الإيمان بضع وسبعون أو ستون شعبة : وأفضلها لا إله إلا الله ، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق** » [١] .

❁ وكلمة أدناها لا تُقلّل من شأنها كشعبة من شُعب الإيمان ، ولكنه يُفاضل بين شعب الإيمان، والمؤمن الحريص على كمال الإيمان يُحصِّل الحد الأعلى والأدنى منه ، ولا يتم تحقيق الأعلى منه إلا بالأدنى ، فلا يتم تحقيق « لا إله إلا الله » إلا بتحقيق مقتضياتها .

❁ حدثني أخ من أصحاب التبليغ أنه شاهد في إحدى البلاد ناسًا من المسلمين - من غير العرب - بلغ من فقههم،أنه إذا رأى أذى في الطريق وهمَّ بإماطته يقول : « لا إله إلا الله » ليكون قد جمع بين أعلى شُعب الإيمان وأدناها !!.

الله أكبر ، هكذا تصطاد الحسنات ، وهكذا يتفاعل المؤمن .

---

(١) مسلم برقم (٣٥) ك الإيمان .

✿ وبيَّن النبي ﷺ كذلك أن إماطة الأذى من محاسن الأعمال ، وأن ترك الأذى دون إماطته من مساوئ الأعمال ، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **عُرضت عليَّ أعمال أُمَّتي حسَنها وسيئها : فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطرق ، ووجدت في مساوئ أعمالها النخاعة تكون في المسجد لا تدفن** » (١) .

✿ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **من أخرج من طريق المسلمين شيئًا يؤذيهم ، كتب الله له به حسنة ، ومن كتب له عنده حسنة أدخله بها الجنة** » (٢) .

✿ وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **إنه خُلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل ، فمن كبَّر الله ، وحمد الله ، وهلَّل الله ، وسبَّح الله ، واستغفر الله ، وعزل حجرًا عن طريق الناس أو شوكة أو عظمًا عن طريق الناس ، أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر ، عدد الستين والثلاثمائة ، فإنه يمسي يومئذٍ وقد زحزح نفسه عن النار** » (٣) ... ومن زحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز ...

✿ وأخبر النبي ﷺ أنه رجلاً يتقلب في نعيم الجنة بسبب حرصه على إماطة الأذى عن الطريق ، قال : « **لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين** » (٤) . وفي رواية : « **مرَّ رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال : والله لأنحيَّن هذا عن المسلمين لا يؤذيهم ، وأُدخل الجنة** » (٥) . وفي رواية : « **نزع رجلٌ لم يعمل خيرًا قط غصن شوك عن الطريق** - إما قال - : **كان في شجرة فقطعه فألقاه ، وإما كان موضوعًا**

(١) مسلم برقم (٥٥٣) ك المساجد .
(٢) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٩٧٤) .
(٣) مسلم برقم (١٠٠٧) ك الزكاة .
(٤) مسلم برقم (١٩١٤) ك البر والصلة .
(٥) مسلم برقم (١٩١٤) ك البر والصلة .

فأماطه ، فشكر الله له ذلك فأدخله الجنة » [(١)] .

✿ وذكر من الصدقات : « .. **وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن طريق الناس صدقة ...** » [(٢)] .

ويا له من باب يسير لمن يريد التصدق ولا يجد ، ويا له من باب واسع لمن يريد مشاركة أهل الدثور في الأجور .

✿ وحث على تنظيف المساجد وإماطة الأذى عنها، باعتبارها مكان اجتماع المسلمين الأعظم ، وغضب لما رأى نخامة في المسجد ، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة فحكها بيده ورُئى منه كراهية أو : رئى كراهيته لذلك وشدته عليه - وقال : « **إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنما يناجي ربه - أو ربه بينه وبين قبلته - فلا يبزقن في قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدمه** » ، ثم أخذ طرف ردائه فبزق فيه وردَّ بعضه على بعض قال : « **أو يفعل هكذا** » [(٣)] .

ويُكرِّم الذين ينفعون المجتمع بإماطة الأذى والقذر ، ويرفع مكانتهم حتى إن لم يأبه الناس لهم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد - أو شابًا - ففقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها - أو عنه - فقالوا : ماتت ، قال : « **أفلا كنتم آذنتموني** » ، قال : وكأنهم صغَّرُوا أمرها أو أمره ، فقال : « **دُلُّوني على قبرها** » فدلوه ، فصلى عليها ، ثم قال : « **إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها ، وإن الله ينورها بصلاتي عليها** » [(٤)] .

وعلى هذا فالعامل الذي يعمل في تنظيف الطرقات والمساجد والمدارس وغيرها من الأماكن العامة جدير بأن نكرمه ونحترمه ، لا أن نمتهنه ونحطَّ من شأنه ، فربما تزدريه الأعين ، وربما يمرُّ أصحاب السيارات فينضحون عليه الماء

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٩٧٦) وعزاه إلى أبي داود .
(٢) المرجع السابق (٢٩٧٠) .
(٣) البخاري برقم (٤١٧) ك الصلاة .
(٤) مسلم برقم (٩٥٦) ك الجنائز .

وأكياس القمامة . . . فليتق الله كل مؤمن في هؤلاء العمال الذين يميطون الأذى عن طرقاتنا ، والله إن إكرامهم إكرام لرسول الله ﷺ الذي أكرمهم في شخص تلك المرأة أو الشاب الذي كان يقمُّ المسجد .

وكثير من الناس يظن أن هذا العامل الذي يأخذ أجرًا على عمله في النظافة ينبغي أن يسير وراءه ليلتقط منه ما يتقذر هو من مجرد النظر إليه ، وهذا خطأ ، فإن من الواجب على كل فرد ـ على الأقل ـ أن يُلقي قاذوراته في المكان المخصص لها، ويكون بهذا أعان هؤلاء العمال،ويؤجر أيضًا على إماطته الأذى عن الطريق.

ومن إماطة الأذى عن الطريق :

عدم الجلوس فيها للإفساد والإيذاء والفحش، ولذلك نهى النبي ﷺ عن الجلوس في الطرقات فقال: « **إياكم والجلوس في الطرقات** » ، قالوا : ما لنا بد عنها يا رسول الله ، قال : « **إن أبيتم فأعطوا الطريق حقها**» ، قالوا : وما حق الطريق؟، قال : « **غض البصر ، ورد السلام ، وكف الأذى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** » [1] .

وهذا الأذى المعنوي المتمثل في الفحش والعرْي، ربما كان أشد على طرقاتنا من الأذى الحسي المتمثل في القمامة والأقذار ، فعلى كل مسلم أن يميط الأذى عن الطريق بنوعيه معنويًا كان أو حسيًّا ، والقذر المعنوي يماط عن الطريق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فليتق الله الذين يتفحشون في الطرقات وفي المنتديات العامة من الرجال والنساء ، وليعلموا أن البصاق الذي رآه النبي ﷺ في الأرض فغضب منه ليس أشد خطرًا على المجتمع من العري والتبرج والفتنة ، ويا للأسف كم من مستعطرة متزينة متجملة عندما تخرج بهذه البهرجة إلى شوارع الناس وطرقاتهم تسوي نفسها بالقَذَر لأن منها ومنه يتأذى الناس .

---

(١) مسلم برقم (٢١٢١) ك اللباس والزينة .

ونهى النبي ﷺ عن إلقاء الأقذار في الماء الذي ينتفع به الناس ، سواء كان للشراب أو الاستحمام ، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **اتقوا الملاعن الثلاث : البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل** » [١] .

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى أن يُبال في الماء الراكد [٢] .

وهذا النهي فيه من النفع والمصلحة لعامة المسلمين الخير الكثير ، فإن إلقاء الأقذار أو التبول والتغوط في الماء الذي يَرِدُه المجتمع مفسدة خطيرة ، إذ يترتب عليه الأمراض التي تتفشى بين الناس ، وبذا يُفسد عليهم نعم ربهم تعالى ، وربما يصرفهم عن التفكر فيها والذي قد يحملهم إلى الإيمان ، ولذلك أوجب هذا الفعل لعنة الله تعالى ، ولعنة المجتمع الذي يتأذى من هذا العمل .

قيمة إماطة الأذى عن الطرق والأماكن العامة :

وربما لا يُقدِّر قيمة هذا العمل كطريق لنفع الناس كل أحدٍ حتى ينظر إلى الآثار المترتبة على عدم إماطة الأذى من المجتمع،والتي يمكن تلخيصها فيما يلي :

- إفساد البيئة وتخريبها .
- انتشار الأمراض والأوبئة .
- كثرة النجاسات والأخباث .
- تأذِّي الناس وضيقهم من المناظر الكريهة .

فكم تستاء النفس عندما تدخل مكانًا عامًا كالشوارع والمستشفيات والمدارس أو وسائل المواصلات ، وترى الأذى : هذا بصاق ، وذاك بقايا سجاير وروائح عفنة ، وتلك أكياس وبقايا طعام تجمَّع عليها الذباب والنمل والهوام ، وقَذرٌ يُعافِسُ قَذِرةً .

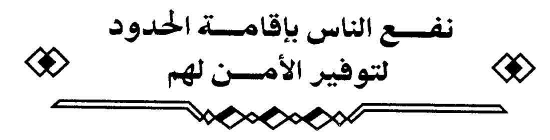
---

(١) صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٤٦) ، وأشار بأنه حسن لغيره .
(٢) مسلم برقم (٢٨١) ك الطهارة .

فلو أن كل مسلم بفطرته الإيمانية تفاعل مع تلك التوجيهات النبوية السديدة فأماط الأذى بكل صوره لِتُكتب له حسنة ، وتُسَجّل له صدقة ، ويُزَحزَح عن النار ، ويتقلب في الجنة ، لانتفع ونفع ، ولأصبح من أحب الناس إلى ربه تعالى .

فهل بعد كل هذا ستبقى سلبيًا أمام هذه القضية ، وهل ستعرض عن السير في هذا الطريق المهم من طرائق نفع الناس، وهل ستقبل على نفسك أن تكون ممن يتسبب في إيذاء المسلمين بإلقائك القَذَر في طرقاتهم ، إنك إن قبلت هذا على نفسك فلن تستطيع أن تتحمل تبعته ، فقد قال ربك ـ عز وجل ـ : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٥٨)** ﴾ .

[الأحزاب : ٥٨] .



المبحث الرابع عشر

نفــع الناس بإقامــة الحدود لتوفير الأمــن لهم

الحدّ لغة : هو الفاصل بين الشيئين ، ومنه يقال : حدود الدار ، وحدود الأرض وغير ذلك ، وفي الشرع هو : عقوبة مقررة لأجل حق الله ، أي أنها مقررة لصالح الجماعة ،وحماية النظام العام ، لأن هذا هو الغاية من دين الله ، وإذا كانت حقًا لله فهي لا تقبل الإسقاط لا من فرد ولا جماعة، فيخرج التعزير لعدم تقديره، إذ أن تقديره مفوّض لرأي الحاكم ، ويخرج القصاص لأنه حق الآدمي (١) .

« وقد شُرعت الحدود في الإسلام ضمانًا لأمن الناس واستقرارهم فهي رحمة من الله - عز وجل - حتى وإن كان فيها قسوة على المحدود إلا أنها رحمة بالمجتمع ، والشرع دائمًا يقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، ويُجيز بتر العضو الفاسد ليسلم بقية البدن ... وليس من الرحمة والرفق بالأشرار الذين ينقضون بناء المجتمع باعتدائهم ، ويُسخِّرون قواهم البدنية والعقلية في الاعتداء على الناس فينقضُّون عليهم إن وجدوا فرصة للانقضاض ، ويكيدون لهم بالخديعة والغش إن وجدوا غفلة ، ويبتزونهم إن تهيأ لهم طريق لابتزازهم ...قال تعالى في الزانية والزاني بعد أن أمر بإقامة الحد عليهما : ﴿ **وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢)** ﴾ [النور : ٢] ، وبهذا يتبين أن الرأفة بالجناة تتنافى مع الإيمان بالله واليوم الآخر » (٢) .

وقد ضرب النبي ﷺ مثلاً لبيان أن الحدود ضمان اجتماعي مهم فقال : **«ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيمًا وعلى جنبتي الصراط سوران فيها أبواب**

---

(١) **انظر** : الشيخ/ سيد سابق ، فقه السُّنَّة (٢ / ٣٤٠) ط. مؤسسة الرسالة ، بيروت .

(٢) **انظر** : الشيخ/ محمد أبو زهرة ، العقوبة ، (ص٨ – ٩) ،ط. دار الفكر العربي ، القاهرة .

مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعند رأس الصراط داع يدعو يقول : استقيموا على الصراط ولا تعوجُّوا ، وفوق ذلك داعٍ يدعو كلما همَّ عبد أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب ، قال : ويلك لا تفتحه ، فإنك إن تفتحه تلجه ، ثم فَسَّره ، فأخبر أن الصراط هو الإسلام ، وأن الأبواب المفتحة محارم الله ، وأن الستور المرخاة حدود الله ، والداعي على رأس الصراط هوالقرآن ، والداعي من فوقه هو واعظ الله في قلب كل مؤمن » [١] .

وأمر بإقامة الحدود فقال : « **أقيموا حدود الله في القريب والبعيد ، ولا تأخذكم في الله لومة لائم** » [٢] .

وبيَّن البركة التي تثمرها إقامة الحدود ، فقال ﷺ : « **حد يُعمل به في الأرض خير لأهل الأرض من أن يُمطروا أربعين صباحًا** » [٣] .

وهذا حق لأن السماء لو أمطرت أربعين يومًا متتالية فإن الخير سيكثر بلا شك ، وتكثر أقوات الناس بفضل ربهم ، ولكن إذا لم تكن الحدود مقامة لتردع المجرمين فإن الناس لن ينعموا بهذا الخير الكثير ، ولو كان الخير قليلاً مع إقامة الحدود لنعم الناس بهذا القليل الذي يأمنون على بقاءه في أيديهم في ظل إقامة حدود الله .

ولقد كانت الحدود في الشريعة الإسلامية بحيث لا مبالغة في العقوبة على الجريمة الصغيرة ، ولا تهاون في العقوبة مع الجريمة الخطيرة ، وهذا يدل على حكمة المشرّع سبحانه وتعالى ، بخلاف ما نرى في القوانين الوضعية في باب العقوبات - وغيره - والتي لا زالت تتخبط إلى اليوم،ولا يمضي عام إلا وتحال القوانين إلى ورشة الإصلاح ، وليتها تُصلح ... ومقدار الجريمة يتنامى كل يوم

(١) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٣٤٨) .
(٢) صحيح سُنن ابن ماجة (٢٠٧٤) ، وصحيح الجامع (١١٩٠) .
(٣) صحيح سُنن ابن ماجة (٢٠٧٣) .

عن الذي قبله ، لأنها قوانين لا تخاطب الضمائر والقلوب كما تخاطبها شريعة الله تعالى .

« وقد تعالت صيحات شتى تُشَنِّع على الحدود في الإسلام وتفضل عليها قوانين البشر ، بدعوى أن الحدود فيها قسوة وينبغي أن يُنظر إلى المجرم على أنه مريض يعالج ، فلا يفيد قتله ولا قطعه !! » (١) .

وباسم حقوق الإنسان،وباسم الحرية؛ عُطِّلت حدود الله،وانتشرت الفواحش، وتزعزع الأمن والاستقرار ، فليس الأمن في أن يكون رجل الأمن هو مصدر الخوف ، وإنما الأمن في أن يكون المجتمع كله متعاونًا على مكافحة الجريمة، صيانة للمصالح العامة والأمن العام .

وهذه نتيجة توصل إليها رجل غير مسلم من خلال دراسته للمجتمع النبوي، إنه المستشرق مونتجمري وات الذي يقول في كتابه محمد في المدينة : « والملاحظ أن محمداً لم يتخذ جهازاً للشرطة ، لأن جميع أفراد المجتمع كانوا بمثابة رجال للشرطة . . . » (٢) .

وعلى كلٍّ فإقامة الحدود طريقة من طرائق نفع المجتمع يُؤجر الساعون فيها أجرًا عظيمًا .

قال الشيخ أبو زهرة - عليه رحمة الله - في كتابه العقوبة ، تحت عنوان « إقامة الحدود عبادة وجهاد » :

« إن إقامة الحدود من عبادة الإمام - لله - وجهاد يجب أن يُعان عليه ، وإذا كان الجهاد في قتال الأعداء لدفع أذى المعتدين وحماية منهم ، فإن تنقية الأمة من عناصر الفساد من الجهاد أيضاً، لأنه جهاد لحماية الدين والأخلاق والفضيلة، وصون للمجتمع من عناصر الفساد التي تنخر في عظامه ، ولا قوة لأمة يسودها

---

(١) **انظر** : الشيخ/ محمد الغزالي « هذا ديننا » (ص١٧٤) ، ط. دار الشروق القاهرة ٢٠٠١ .

(٢) **انظر** : د.أحمد رحماني،« نظريات الإعجاز القرآني »(ص١٠٢) ط.مكتبة وهبة القاهرة ،١٩٩٨م.

الانحلال الخُلُقي ، ولا أمن فيها ولا سلامة ، وفوق ذلك لا سبيل لمحاربة الأعداء إلا إذا كان المجتمع سليمًا من الفساد ، وحسبنا ما نراه في بعض الدول التي اعتصمت بقوة السلاح ، ولم تعتصم بقوة الأخلاق ، فقد خرَّت صريعة عند أول لقاء بأعدائها .

ولقد قال ابن تيمية في كتابه السياسية الشرعية : « إن إقامة الحدود من العبادات كالجهاد في سبيل الله ، وينبغي أن يُعرف أن إقامة الحدّ رحمة من الله لعباده ، فيكون الوالي شديدًا في إقامة الحدّ، لا تأخذه رهبة في دين الله فيعطله ، ويكون قصده رحمة الخلق بكف الناس عن المنكرات ، لا لشفاء غيظه وإرادة العلو على الخلق ، بل بمنزلة الوالد إذا أدّب ولده ، فإنه لو كفّ عن تأديب ولده كما تتستر به الأم رقة ورأفة لفسد الولد ، وإنما يؤدبه رحمة وإصلاحًا لحاله ، مع أنه يود ويؤثر ألا يُحوجَه إلى تأديب ، وبمنزلة الطبيب الذي يسقي المريض الدواء الكريه ، وبمنزلة قطع العضو المتآكل، . . . فكذلك شرعت الحدود ، وهكذا ينبغي أن يكون الوالي في إقامتها ، فإن من كان قصده صلاح الرعية وإزالة المنكرات ، يجلب لهم النفع ويدفع عنهم المضرة [١] ،ويبتغي في ذلك وجه الله تعالى وطاعة أمره ، ألان الله له القلوب وتيسّرت له أسباب الخير ، وكفاه العقوبة اليسيرة ، وقد يرضي المحدود إذا أقام عليه الحدّ ، أما إذا كان غرضه العلوّ عليهم ، وإقامة بأسسه ليعطوه أو ليبذلوا له ما يريد من الأموال - انعكس عليه مقصود . . . » [٢] .

كما أن الذي يسعى في إقامة الحدود يُقدِّم نفعًا عظيمًا حتى للمجرمين أنفسهم ، فإنه يعينهم على التطهر من ذنوبهم لتُكفّر عنهم آثامهم ، فقد جاء في الحديث : « **بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ، ولا**

---

(١) ليس قول ابن تيمية - رحمه الله - هذا يتعارض مع قول الله تعالى : ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف : ١٨٨] ، وإنما المقصود فيما يستطيع الإنسان جلبه من المنافع ودفعه من المضار ، التي ييسرها الله تعالى له لينتفع بها وينفع غيره .

(٢) العقوبة ، (ص٥١) .

تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلا بالحق ، فمن وفَّى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب شيئًا من ذلك فعوقب به فهو كفارةٌ له ، ومن أصاب شيئًا من ذلك فستره الله عليه ، فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عذَّبه » [١] .

فأي نفع وحماية وضمان لأمن المجتمع أعظم من إقامة حدود الله - عز وجل - وصدق ربنا إذ يقول : ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة : ٥٠] .

---

(١) التجاري برقم (٧٢١٣) .

المبحث الخامس عشر

نفع الناس بالإصـــلاح بينهم

إن أي مجتمع إذا دبَّت الخصومات بين أفراده وتأججت نار القطيعة والهجر ، ونزغ الشيطان بينهم ، يصبح هذا المجتمع على شفا حفرة من النار ، فإن الروابط الاجتماعية والعُرى الإنسانية سوف تتهشم،ومثل هذا المجتمع بحاجة إلى من يعمل على إنقاذه ورأب صدعه ورتق خرقه،وهذا إنما يتم بالسعي للإصلاح بين الناس.

وهذا عمل جليل ، وخدمة نافعة ، يمكن أن يقدمها كل مؤمن إلى مجتمعه الذي هو جزء من كيانه ، قال تعالى : ﴿ **لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** (١١٤) ﴾ [النساء : ١١٤] .

أفرأيت كيف نفى الحق تعالى أن يكون في كثير من الكلام الذي يصدر عنا خيرًا ، إلا أن يكون ذلك أمرًا بصدقة وحضًّا على طعام مسكين ، أو أي نوع من صنائع المعروف أو الإصلاح بين الناس .

ولقد حثَّ الإسلام كثيرًا على إصلاح ذات البيْن ، سواء على مستوى الجماعة أو بين الأفراد ، فقال تعالى :

- ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا** ﴾ [الحجرات :٩] .
- ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ . [الأنفال : ١] .

✿ ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾[النساء : ١٢٨] .

وفي السُنَّة المطهرة جاءت عدة لفتات إلى فضل الإصلاح بين الناس ، فمن ذلك :

✿عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟** » ، قالوا : بلى ؟ ، قال : « **إصلاح ذات البيْن ، فإن فساد ذات البيْن هي الحالقة** » ، وفي رواية : « **هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين** » (١) .

✿ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **أفضل الصدقة إصلاح ذات البيْن** » (٢) .

✿ وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأبي أيوب رضي الله عنه :«**ألا أدلك على تجارة**»، قال : بلى، قال : «**صل بين الناس إذا تفاسدوا وقرِّب بينهم إذا تباعدوا**»(٣) .

✿ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس ، يعدل بين الاثنين صدقة ...** » (٤) . أي يصلح بينهما .

وهذه الآيات السابقة والأحاديث ، من شأنها أن تُفعِّل المسلمين للسعي بالإصلاح بين الناس ، ففيها بيان أن الصلح خير، وأنه واجب ، وأن ثوابه عظيم ، وأن فيه إنقاذًا للمؤمنين من الحالقة التي تلحق دينهم ، وهي فساد ذات البيْن .

ولكن للأسف نحن نرى ـ الآن ـ على المستوى الجماعي يتقاتل المسلمون ويتخاصمون ، وعلى المستوى الفردي ـ أيضًا ـ وسبحان الله، يقف كثير من المسلمين متفرجًا في بلاهة عمياء ، وكأن الأمر لا يعنيهم، ومن يتدخل للإصلاح ربما لا يستحضر هذه النية الشرعية ، وإنما بدافع حبّ الزعامة والشهرة ـ إلا من

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٨١٤) .
(٢) المرجع السابق برقم (٢٨١٧) .
(٣) المرجع السابق برقم (٢٨١٨) .
(٤) المرجع السابق برقم (٢٩٨٩) .

رحم الله - ودليل ذلك أنه لمجرد أن يناله شيء يترك ميدان الإصلاح ويرفع يده ، ويقول على حدّ قول القائل : « يأكلوُ بعض » ، « ما ينوب المخلِّص إلا تقطيع ثيابه »، « تعمل خير ينقلب عليك شر » . . . وهكذا .

لقد كان مَنْ قبلنا يسعون للإصلاح بين الناس محتسبين ، وربما يتحملون الحمالات ، ويُنال منهم ومع ذلك يصبرون .

وانظر كيف رفع الإسلام بعض الحرج عمَّن يسعى بالإصلاح بين الناس ، لأنه لابد أن يعمل على تطييب الخواطر والقلوب النافرة ، وربما يضطره هذه إلى نقل كلام جيّد على لسان كل من الخصمين للآخر ، وفي الغالب لا يجودان بمثله في تلك الظروف فجاز له أن يَدَّعيه ولو تورية ولا يعتبر من الكذب .

جاء في الحديث عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها، قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ، فينمي خيراً ، أو يقول خيراً** » [١] .

« وهذا يعني أن الإنسان إذا قصد الإصلاح بين الناس ، وقال للشخص : إن فلانًا يثني عليك ويمدحك ويدعو لك وما أشبه ذلك من الكلمات ، فإن ذلك لا بأس به . . . ويَحْسُن أن يكون هذا على سبيل التورية ، بأن يقصد المصلح أن المسلم إذا دعا فعمّم في دعائه دخل فيه كل مسلم . . . وهكذا » [٢] .

وما كان هذا الترخيص ، ورفع الحرج إلا ليُعان الساعون بالإصلاح على القيام بهذه المهمة الجليل والعمل النافع ، الذي يحفظ على الناس دينهم من الحلق ، ويصفِّي نفوسهم ، ويحقن دماءهم ، ويؤلف بين قلوبهم بإذن الله تعالى .

ولابد أن يتفاعل المجتمع مع المصلحين بقبول الحلول والانصياع لما يقضون به، خصوصاً إذا كان من حلول الشرع الحنيف،فقد أثنى الله - عز وجل - خيراً على من

---

(١) البخاري برقم (٢٦٩٢) ، ومسلم (١٠) في البر والصلة .

(٢) انظر : شرح رياض الصالحين ، لابن عثيمين ، (١/ ٦١٤ - ٦١٥) .

يقبلون حكم الله ورسوله دون تردد ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) ﴾ . [النور : ٥١] .

وتبدو الحاجة ملحَّة إلى دراسة المجتمع النبوي دراسة اجتماعية تشكلها هذه الملامح :

أولاً : بشرية المجتمع النبوي وعدم مجاوزته هذا الإطار ، وبالتالي كانت هناك مشكلات ، ولكنها سرعان ما كانت تُحَل .

ثانيًا : لأن هناك من يسعى للإصلاح ، فقد كان النبي ﷺ إذا بلغه أن اثنين بينهما شيء ، ربما قال أصحابه هلموا بنا نصلح بين فلان وفلان ، والأمثلة على ذلك كثيرة .

ثالثًا : تفاعل المجتمع مع المصلحين بسرعة قبول الحلول المطروحة مما كان يحُول دون تضخم المشكلات وتفاقم خطرها .

وهذه قصة لواقعة حصلت فيها خصومة بين رجال ، هم أفضل الأمة وخيرها على الإطلاق ، وفي موقف لا يحتمل الخصومة ، ولكنها الطبائع البشرية إذا أُفسح لها المجال طفحت بخباياها المكنونة ، وكانت هذه الواقعة سببًا لنزول قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١) ﴾ [الأنفال : ١] [(١)] .

ولنفسح المجال لرجل شهد الموقف يقصه علينا فليس راءٍ كم سمع :

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : « نزلت فينا أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فانتزعه الله من أيدينا وجعله إلى رسول الله ﷺ فقسمه بين المسلمين - وفي رواية - : لما التقى الناس ببدر ، وهزم الله تعالى عدوه ،

(١) رواه الإمام أحمد في المسند برقم(٢٢٨٦٧)وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(٧ / ٢٦)رجاله ثقات .

انطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون ، وأكبَّ طائفة على العسكر يحمونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غِرَّة ، حتى إذا كان الليل وفَاءَ الناس بعضهم إلى بعضٍ، قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حويناها فليس لأحد فيها نصيب ، وقال الذين خرجوا في طلب العدو : لستم بأحق به منا ، نحن منعنا عنها العدو وهزمناهم ، وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ لستم أحق بها منا ، نحن أحدقنا برسول الله ﷺ خفنا أن يصيب العدوّ منه غِرَّةً فاشتغلنا به ، فنزلت ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ ﴾ (١) .

وقد يقول قائل : أهؤلاء هم المهاجرون والأنصار، الذين قال الله فيهم ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) ﴾ .

[الحشر : ٨-٩] .

فأقول : نعم ، هم المهاجرون والأنصار ، وهذا لا يُنقص من قدرهم ، جاءت الآيات بالحلّ ، تحثهم على التقوى وإصلاح ذات بينهم ، وتعلق تحقيق الإيمان الكامل على التقوى وإصلاح ذات البين ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ١] أي إن أصلحتم ذات بينكم فذاك برهان إيمانكم ، وإن لم تفعلوا فليس إيمانكم بالكامل على الوجه المطلوب .

ثم توالت الآيات بعد ذلك تذكرهم بالإيمان وعلامات وأوصاف المؤمنين : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) ﴾ [الأنفال : ٢-٤] .

« فهل يفكر أحد بعد هذه الآيات في الغنائم والاختلاف على من أحق بها؟ أم أنه سيفكر في نفسه وأين هو من هذه الأوصاف؟ ، وهل هو مؤمن حقًا أم... ؟ » [١] .

وانظر كيف لما تخاصم الناس على الدنيا نزعها الله من أيديهم كما قال عبادة ابن الصامت رضي الله عنه : لأنها كادت تفسد ذات بينهم ، فلما فاءوا إلى الله وأصلحوا ذات بينهم أتتهم الدنيا راغمة ، فقد نسخ الله - تعالى - أول سورة الأنفال والذي ينص على أن المغانم لله ورسوله فقط ، بقوله تعالى : ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ** ﴾ [الأنفال : ٤١] [٢] ، فكانت الغنائم بعد ذلك توزع بحيث يجعل لكل مجاهد سهمًا منها .

- فهل ستبقى أخي المسلم معرضًا على المشاركة في إصلاح ذات البيْن ؟ .
- وهل ستكتفي بوقوف موقف المتفرج على المتخاصمين ؟ .
- وهل سيبقى المتخاصمون في عنجهيتهم لا يقبلون الحلول الإلهية التي يعرضها المصلحون عليهم ؟ .
- ومتى سنبلغ منزلة الذين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم قالوا : سمعنا وأطعنا ؟ .

---

(١) **انظر** : د. مجدي الهلالي « الإيمان أولاً » ، (ص٣٣) ، ط. دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة.

(٢) **انظر** : الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم ، هبة الله بن سلامة ،(ص ٢٥) ط. مكتبة المتنبي القاهرة .

المبحث السادس عشر

نفع الناس بدفع الظلم عنهم

لقد حرَّم الله تعالى الظلم مطلقًا ، وحرَّمه على نفسه تعالى ،و أعلن هذا في وحيه إلى رسوله ﷺ ليقتدى الناس بربهم الذي نزه نفسه وحرَّم الظلم عليها ، فقال كما يروي النبي ﷺ عن رب العزة - جل وعلا - « **يا عبادي إني حرَّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظَّالموا . . .** » (١) .

والظلم له قهر عجيب يعتصر القلب اعتصاراً،وربما يُخرج الإنسان - المظلوم - عن شعوره ويُفقده صوابه ، فتخرج الصيحات المقهورة ، والآهات المكبوتة ، في فضاء الكون لعلها تجد من يتجاوب معها فيدفعها أو يخففها .

ولقد أخبر النبي ﷺ أن العليم القدير هو أول من يتجاوب معها فيدفعها أو يخففها بحكمته ورحمته ، فقال في أكثر من سياق :

✿ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن : « **اتقِ دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب** » (٢) .

✿ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **اتقوا دعوة المظلوم ، فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة** » (٣) .

✿ وعن خزيمة بن ثابت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **اتقوا دعوة المظلوم فإنها تُحمَل على الغمام ، يقول الله : وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين** » (٤) .

---

(١) مسلم في البر والصلة برقم (٥٥) .
(٢) البخاري برقم (١٤٩٦) ، ومسلم برقم (٢٩) ك الإيمان .
(٣) صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٢٨) .
(٤) المرجع السابق برقم (٢٢٣٠) وأشار بانه حسن لغيره .

✿ وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **دعوة المظلوم ، وإن كان كافراً ليس دونها حجاب** » .

✿ وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه :« **دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ، ففجوره على نفسه** » [١] .

✿ أفرأيت كيف يتجاوب الحق - تعالى - مع دعوات المظلومين وصيحات المقهورين !! .

إن هذا العلم بتجاوب الله - تعالى - مع دعوات المظلومين ينبغي أن يُثمر على الأقل ثلاث ثمرات عظيمات :

الأولى : الرعب والخوف في قلوب الظلمة ، فهم لا يقدرون على حرب الله عز وجل ، الذي ينصر المظلومين .

الثانية : في قلوب المؤمنين الذين يكرهون الظلم، أن يتجاوبوا مع صحيات المقهورين لدفعها وتخفيفها عنهم ، لعلهم يكونون أسبابًا اختارها ليشرفها ويمنحها أجر وشرف طاعته سبحانه والعمل معه .

الثالثة : في قلوب المظلومين ، سكينة وطمأنينة وثقة بأن النصر في جانبهم ولو بعد حين .

وبعد هذه الثمرات لابد أن يعلم الناس أن من استطاع أن ينفع الناس بدفع الظلم عنهم ولم يفعل ، فإن صوراً من العتاب والعقاب تنتظره ، ففي الحديث :

✿ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **أُمِرَ بعبدٍ من عباد الله يُضْرَب في قبره مائة جلدة ، فلم يزل يسألُ ويدعو حتى صارت جلدة واحدة ، فامتلأ قبره عليه ناراً فلما ارتفع وأفاق قال : على ما جلدتموني ؟ ، قال : إنك صليت صلاة بغير طهور ، ومررت على مظلوم فلم تنصره** » [٢] .

---

(١) المرجع السابق برقم (٢٢٢٩) وأشار بأنه حسن لغيره .
(٢) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٢٣٤) والسلسلة الصحيحة برقم (٢٧٧٤) .

* وعن جابر بن عبد الله وأبي طلحة بن سهل الأنصاريين رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : « **ما من امرئ يخذُل امرأً مسلمًا عند موطن تنتهك فيه حرمته ويُنتقصُ فيه عرضه ، إلا خذله الله - عز وجل - في موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرئ ينصر امرأً مسلمًا في موطن يُنتقصُ فيه من عرضه ويُنتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته** » (١) .

رُحماك يا الله رحماك ، عذاب في القبر بسبب ماذا ؟ ، مرَّ على مظلوم فلم ينصره !، خذلان وهزيمة في أشد المواقف، حاجة إلى التوفيق والنصر، ما سببه ؟، خذل مسلمًا في موطن كان يقدر أن ينصره فيه !! .

فالجزاء من جنس العمل ، فكما تُعين الناس بدفع الظلم عنهم ، تُعان بمن يدفعه عنك .

الأمة التي لا تنصر المظلوم لا تستحق النصر !! :

إن عاقبة ترك الناس نُصرة المظلوم ودفع الظلم عنه ليست فردية ، وإنما تَعُمّ المجتمع كله ، ويظهر أثر عاقبة هذا الأمر في تلاحق الهزائم لتلك الأمة التي لا يُنتصر للضعفاء فيها من ظالميهم .

جاء في الحديث من طرق متعددة :

* عن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تقدَّسُ أُمَّة لا يُقضى فيها بالحق ، ولا يأخذُ الضعيف حقه من القويّ غير مُتَعتَع** » (٢) .

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا قُدِّست أُمَّة لا يُعطى الضعيف فيها حقه غير مُتعتَع** » (٣) .

(١) مسند الإمام أحمد برقم (١٦٣٦٨) .
(٢) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢١٩١) وأشار بأنه صحيح لغيره .
(٣) صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٨١٨) .

● وعن خولة بنت قيس - زوج حمزة بن عبد المطلب - ﵄ - قالت : قال رسول الله ﷺ : « **ما قدَّس الله أُمَّة لا يأخذ ضعيفها الحق من قويها ، غير مُتَعتَع** » (١) .

● ورواه الإمام أحمد من طريق عائشة ، والطبراني من طريق عبد الله بن مسعود وغيرهم - ﵃ - وقد تعمّدت إيراد أكثر من طريق للحديث ليرى القارئ الكريم من خلال هذا مدى شيوع الوعي في ذلك المجتمع الطاهر ومحاذرته من أن يظهر فيهم هذا الأمر فيكون سبباً في هزيمتهم ونكستهم ، ولذلك كانوا يكثرون التحديث به .

والأمة الإسلامية كان من أهم مقاصد الرسالة التي حملتها للعالمين ورفعت لواءها : رفع الظلم عن المظلومين وإحلال العدل ، وهذا ما أعلنه ربعي بن عامر ﵁ عندما سأله قائد الفرس : « ما الذي جاء بكم ؟، قال: جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام » .

ومن أجل هذا - وغيره من المقاصد - شُرع الجهاد في الإسلام ؛ لرفع الظلم عن الناس وإزالة الحواجز والعقبات التي بينهم وبين دين الفطرة ، ثم يُترك بعد ذلك لهم حرية الاختيار ، فلم يُشرَع الجهاد لإكراه الناس على اعتناق الإسلام كما يزعم الأفَّاكون ! .

وعندما أدرك كثير من أمم الأرض أهداف رسالة الإسلام السامية - ومن أهمها رفع الظلم عن المقهورين - فتحت أبوابها للمسلمين الفاتحين .

والأمثلة على ذلك في تاريخ الإسلام كثيرة ، منها :

● ذلك الموقف الشهير في فتح حِمْص - في عهد عمر بن الخطاب ﵁ - لما توجّه إليهم المسلمون ، فتحوا أبوابهم أمامهم ، وصالحوهم على جزية في مقابل

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٨١٦) .

أن يحموهم من جنود الرومان - برغم أنهم نصارى مثلهم - ولما رأى قائد المسلمين في تلك المناطق أن الدولة الرومية قد أعدّت جيشًا أقوى من طاقته وآثر أن يرجع حتى تأتيه الأمداد ، قام بردّ ما قد تم جمعه من أهل حمص من أموال ، فكانوا يتعجبون ، وقالوا : لو كان الرومان هم الذين جمعوا منَّا تلك الأموال ما ردوا إلينا شيئًا، ودعوا للمسلمين قائلين: اذهبوا نصركم الله عليهم وردّكم إلينا .

✿ ولم تكن حمص وحدها - من أملاك الدولة الرومية - تعاني من الظلم والاستبداد الذي أهدر كرامة الإنسان إلى أقصى حدّ ! ، وإنما تحت سلطانها عشرات من البلاد ، فقد بسطت نفوذها وسلطانها على ساحلي البحر الأبيض ، وكانت تتخذ من خيرات البلاد بقرة حلوبًا ، فتنتهب خيراتها وتظلم العباد ، ولا تسعى في إصلاح شئونهم أو تقديم أي نفع لهم .

وقد كتب الأستاذ العلامة / أبو الحسن الندوي في تصوير مقدار الظلم الذي انتشر في الأرض إبّان مبعث النبي ﷺ وأطال - رحمه الله - النقل من كتب ووثائق التاريخ ، ثم قال معقبًا على هذا : « وهكذا أصبح أهل البلاد في كلتا المملكتين طبقتين متميزتين تمام التميز ، طبقة الملوك والأمراء ، ورجال البلاط الملكي وأسرهم وعشائرهم ، والمتصلون بهم والأغنياء ، فكانوا يعيشون بين الأزهار والرياحين ويتقلبون في أعطاف النعيم وينعلون أفراسهم عسجداً [١] ، ويكسون بيوتهم حريراً وسُندسًا ، وطبقة الفلاحين والصناع والمتجار الصغار وأهل الحرف والأشغال ، كانوا في جهد من العيش يرزحون تحت أثقال الحياة والضرائب والإتاوات ، ويرسفون في القيود والأغلال ، ويعيشون عيش البهائم ، لا حظ لهم في الحياة إلا العمل لغيرهم والشقاء لنعيمهم ... » [٢] .

---

(١) أي كانوا يجعلون في حوافر خيولهم ذهبًا بدل الحديد !!! .

(٢) أبو الحسن الندوي ، « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » ، (ص٧٥ ، ٧٦) ط. دار الكتاب العربي ، بيروت .

وبالطبع جرت سُنَّة الله ـ تعالى ـ على تلك الأمم التي لم تنصف المظلوم برفع الظلم عنه، قال تعالى: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (11) ﴾ [الأنبياء : ١١] .

« فإذا فشا الظلم وعدم إقامة العدل في أُمَّة من الأمم ، فقد تحققت فيها أسباب الهلاك ، وحقت عليها سُنَّة الله بالهلاك ، ووقعت عليها القاصمة ، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد حرَّم الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرمًا ، كما في الحديث ، فإذا اختلت الموازين وانعدمت القيم وتحكّم الأقوياء في رقاب الضعفاء وقُسِّم المجتمع إلى طبقات ، سادةً وعبيدًا ، وتلاعب السادة بحدود الله وأوامره ، فقد حقت عليهم سُنَّة الله التي لا تحابي أحدًا من خلقه ، ولن تجد لسُنَّة الله تبديلاً ولن تجد لسُنَّة الله تحويلاً » [1] .

وهذه السُّنَّة عن الظلمة من أُمَّة الإسلام ليست ببعيد، على حد قوله تعالى: ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود : ٨٣] .

إن ما تعيشه الأمة الإسلامية الآن من مهانة وتلاحق هزائم سببه في الأغلب شيوع الظلم بكافة أنواعه ، فكيف يُقدسها الله وهي تمارس على رعاياها البطش والتسلط والقهر ، بصور لا تمارس في أمم الكفر ، وكم نسمع ونقرأ عن محاكمة رئيس أو وزير أو إقالة حكومة بأكملها في تلك الأمم ، بينما في بعض البلاد الإسلامية يُحَاسبُ الإنسان حتى على فكره الذي يدور في رأسه ـ فقط ـ تخوفًا من أن يُحال إلى عمل ! .

نصرة المظلوم من أعظم حقوق الأخوة :

جاء في الحديث الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في**

(١) د. محمد عي الصلابي ،« صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي ، (١ / ٣٤-٣٥) ، ط. دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ٢٠٠٦م .

حاجته... »[١] ، وفي رواية: « ...**لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ...**»[٢] .

قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ:

« ... لا يظلمه ولا يسلمه : لا يظلمه في ماله ولا في بدنه ، ولا في عرضه، ولا في أهله ، يعني : لا يظلمه بأي نوع من الظلم ... ولا يُسلمه لمن يظلمه فهو يدافع عنه ، ويحميه من شره ، فهو جامع بين أمرين :

الأول : أنه لا يظلمه .

الثاني : أنه لا يسلمه لمن يظلمه بل يدافع عنه .

ولهذا قال العلماء ـ رحمهم الله ـ: يجب على الإنسان أن يدافع عن أخيه في عرضه وبدنه وماله ، في عرضه : يعني إذا سمع أحداً يسبه وغتابه يجب عليه أن يدافع عنه ، وكذلك أيضًا في بدنه : إذا أراد أحد أن يعتدي على أخيك المسلم وأنت قادر على دفعه ، وجب عليك أن تدافع عنه ، وكذلك في ماله : لو أراد أحد أن يأخذ ماله ، فإنه يجب عليك أن تدافع عنه ... ويُفهم من ذلك أن الإنسان إذا ظلم أخاه فإن أخوته ناقصة ، وإذا أسلمه إلى من يظلمه فإن أخوته ناقصة ، وإذا لم يكن في حاجته فإن هذا يفوّته الخير العظيم ، وهو كون الله تعالى في حاجته »[٣] .

وجاء عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « **انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا** » فقال رجل : يا رسول الله ، أنصره إذا كان مظلومًا ، أرأيت إن كان ظالمًا كيف أنصره؟، قال: « **تحجزه أو تمنعه من الظلم ، فإن ذلك نصره** »[٤] .

« والنصر بمعنى الدفع عن الغير،أي دفع ما يضره...سواء كان ظالمًا أو مظلومًا وهذا يعني أن الأخذ على يد الظلمة بمنعهم عن ظلم الناس نصر لهم كما أخبر

---

(١) البخاري برقم (٢٤٤٢) ومسلم برقم (٥٨) في البر والصلة .
(٢) سُنن الترمذي برقم (١٩٢٧) ومسلم برقم (٣٢) في البر والصلة ، بلفظ قريب .
(٣) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١/ ٥٧٠-٥٧١) ، ط. دار السلام ، القاهرة ٢٠٠٢م .
(٤) البخاريي برقم (٢٤٤٤) ، والترمذي برقم (٢٢٥٥) .

النبي ﷺ ، وفي هذا دليل على وجوب نصرة المظلوم ، وعلى وجوب نصر الظالم على هذا الوجه الذي ذكره النبي ﷺ » [١] .

واجب العلماء في دفع الظلم عن الناس :

إن للعلماء - إذا أخلصوا لربهم - قوة لا تعادلها قوة الملك والسلطان ، لأنه كما قيل سلطان الملوك على الأبدان ، وسلطان العلماء على القلوب ، وكثيراً ما نقرأ في تاريخنا عن علماء رأوا تفشي المظالم على العباد ، فهبُّوا لدفعها عنهم ، وليس هبوب من يُحرِّض الناس على شق عصا الطاعة أو التمرد ، وإنما هبوب الناصح الذي يذكر بالله ويخوِّف به .

✿ دخل سفيان الثوري - رحمه الله - على أبي جعفر المنصور وكان معروفًا بتسلطه وبطشه ، فقال : « ما قولك أنت يا أمير المؤمنين فيما أنفقت من مال الله ومال أُمَّة محمد بغير إذنهم » ؟ ، وقد قال عمر - يعني ابن الخطاب رضي الله عنه - في حجة حجها وقد أنفق ستة عشر ديناراً هو ومن معه : « ما أرانا إلا وقد أجحفنا ببيت المال » ، وقد علمت ما حدثنا به منصور بن عمار وأنت حاضر ذلك وأول كاتب كتبه في المجلس، عن إبراهيم عن الأسود عن علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « رُبَّ متخوض في مال الله ومال رسول الله فيما شاءت نفسه ... له النار غداً » ؟ ، فقال أبو عبيد الكاتب - أحد متزلفى الحاشية في بلاط أبي جعفر : أمير المؤمنين يُستقبل بمثل هذا ؟ ، فيجيبه سفيان بعنف : « اسكت ، فإنما أهلك فرعون هامانُ ، وهامانَ فرعون » ثم خرج وقد صدع بكلمة الحق » [٢] .

✿ وبينما أبو يوسف - تلميذ أبي حنيفة - في مجلس القضاء : اختصم إليه رجل مع الهادي - الخليفة العباسي في بستان ، ويرى أبو يوسف أن الحق في

---

(١) شرح رياض الصالحين ، لابن عثيمين (١ / ٥٨٢) بتصرف .

(٢) أ. سيد قطب ، « العدالة الاجتماعية » (ص ١٤٢) ط. دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٩م .

جانب الرجل ، ولكن للخليفة شهود ، فيقول أبو يوسف : إن الخصم يطلب أن يحلف الهادي على أن شهوده صادقون ! ، فرفض الهادي اليمين ـ لأنه رأى في ذلك مهانة له ـ فرد أبو يوسف البستان على صاحبه [١] .

❁ وفي أيام الظاهر بيبرس كان الشيخ محي الدين النووي بدمشق وكان كثير الوعظ للظاهر ، يكتب إليه بما يراه إن كان بمصر ، ويصدع بكلمة الحق إن كان الظاهر بدمشق ، وقد سجل السيوطي في حسن المحاضرة طائفة من تلك المكاتبات ، وأكثرها خاص بطلب ترك بعض الضرائب المفروضة لضيق الحال ، وخشية المآل ، فيقول في إحداها : « إن أهل الشام في هذه السنة في ضيق وضعف حال ، بسبب قلة الأمطار وغلاء الأسعار ، وقلة الغلات والنبات ، وهلاك المواشي وأنتم تعلمون أنه تجب الشفقة على الرعية ونصيحتهم في مصلحته ومصلحتهم ، فإن الدين النصيحة .

وقد ردّ السلطان هذه النصيحة ردًا عنيفًا ، واستنكر على العلماء موقفهم منه ، وسكوتهم يوم كانت البلاد تحت سنابك الخيل في عهد التتار عندما استولوا على الشام، فيرد الشيخ أيضًا ردًا قويًا مؤكدًا قوله ونصيحته ومبيّنًا أنها الميثاق الذي أخذه الله على العلماء ليبيّنّنه ، قال : « وأما ما ذُكر في الجواب من كوننا لم ننكر على الكفار كيف كانوا في البلاد ، فكيف يُقاس ملوك الإسلام وأهل الإيمان وأهل القرآن بطغاة الكفار ؟ ، وبأي شيء كنا نُذكّر طغاة الكفار ؟ ، وهم لا يعتقدون شيئًا من ديننا ، وأما أنا فلا يضرني التهديد ، ولا يمنعني ذلك من نصيحة السلطان ، فإني أعتقد أن هذا واجب عليّ وعلى غيري ، وما ترتب على الواجب فهو خير وزيادة عند الله،وأفوض أمري إلى الله، إن الله بصير بالعباد، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نقول الحق حيثما كنا، وألا نخاف في الله لومة لائم ، ونحن نحب السلطان في كل الأحوال ، وما ينفعه ففي آخرته ودنياه .

---

(١) **انظر** : سيد قطب « العدالة الاجتماعية في الإسلام » (ص١٤٢) ط .دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٩م.

وقد توالت كتب الشيخ محي الدين بهذه القوة الرفيعة ، ولكن السلطان بيبرس لم ينتصح بنصيحته واستمر في جباياته لأنها الحرب التي تحتاج إلى المال والعتاد ، وجمع السلطان فتاوى العلماء في تأييد عمله ، فكتبوا بما أراد ما عدا الشيخ محي الدين فإن ذلك زاده استمساكًا برأيه وشدة فيه ، فأحضره الظاهر ليوقع على ما وقعوا،فعندئذ أجابه جوابًا عنيفًا بعد تلك الكتب الرفيقة ، قال له : « أنا أعرف أنك كنت في الرق للأسير بند قدار ، وليس معك مال، ثم منّ الله عليك وجعلك ملكًا،وسمعت أنك عندك ألف مملوك ،كل مملوك له حياصة [١] من ذهب ، وعندك مائة جارية ، لكل جارية حق من الحُلِيّ ، فإن أنفقت ذلك كله وبقيت المماليك بالصوف بدلاً من الحوائص ، والجواري بثيابهن دون الحُلي أفتيتك بأخذ المال من الرعية » ، فغضب الظاهر بيبرس وقال : اخرج من دمشق فقال : السمع والطاعة ، فخرج إلى نوى بالشام [٢] .

والنماذج في هذا الشأن لا تحصي،وهذا يُحتِّم على العلماء أن يَسْعَوا جهدهم في دفع الظلم عن الناس،وإن كنت أعذرهم فلست بغافل عما يحدث للعلماء من ملاحقة وتضييق الظلمة عليهم،ويحسبونهم منافسين لهم على الدنيا! .

وإن لم يقدر العلماء على دفع الظلم عن الناس فلا أقلّ من أن يمتنعوا عن إعانة الظلمة على ظلمهم ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** ﴾ [هود : ١١٣] .

نـــداءٌ لكـــل ظالـــم :

إلى كل ظالم أوجّه هذا النداء فأقول :

إلى متى تغتر بقدرتك وأقدرُ وأقوى منك قد هلكوا،ولم يُعجزوا الله شيئًا !! .

---

(١) الحياصة : الثياب الموشاة بالذهب .

(٢) العدالة الاجتماعية (ص١٤٣ ، ١٤٤) بتصرف .

﴿ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ [فصلت : ١٥] ، فمهما قدر الظالم فلن يقوى على مغالبة القدرة التي لا تُغلَب ، القدرة التي وعد صاحبها - عز وجل - بأنه ينصر دعوة المظلوم ولو بعد حين .

لا تظلمن إذا ماكنت مقتدراً	فالظلم عقباه يأتيك بالندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه	يدعو عليك وعين الله لم تنم

وصدق من استخلص من توجيهات الرسول ﷺ حكمة وعظة :

« إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك » .

فقد حدث أنه ﷺ رأى رجلاً من الأنصار اسمه أبو مسعود البدري يضرب غلامًا له بالسوط ، فقال : « **اعلم أبا مسعود : أن الله - تعالى - أقدر عليك منك على غلامك هذا** » [(١)] .

وليتك تستجيب لهذا النداء مني « فأنا أحبك » .

فإن أبا مسعود استجاب لنداء رسول الله ﷺ له وقال : « **لا أضرب مملوكًا بعده أبداً ، وهو حرٌ لوجه الله تعالى** » ، فقال له النبي ﷺ : « **أما لو لم تفعل للفحتك النار - أو لمسَّتك النار** » [(٢)] .

وأجدر بك أن تؤدى المظالم فتردها إلى أصحابها وتطلب منهم العفو ، فإنها الآن بين يديك ، وإلا فستؤديها يوم القيامة وتؤمر بأدائها ولكن لا تجد ما تؤدى به فتطرح في النار ! .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء** » [(٣)] .

---

(١) رواه مسلم في الإيمان برقم (٣٤) وأبو داود في الأدب برقم (٥١٥٩) .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) مسلم برقم (٦٠) ، ك البر والصلة .

فانظر إلى كمال عدل الله ـ تعالى ـ حتى في البهائم العجم ، يقتص يوم القيامة للشاة الجلحاء « التي لا قرون لها ، وهي تشبه المظلوم من بني آدم » من الشاة القرناء « وهي تشبه الظالم من بني آدم » فكيف بعدله في مظالم البشر بعضهم لبعض !! .

لا زال صدى كلام رسول الله ﷺ يدوي « **من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحُمِل عليه** »[١] .

إنك إن استجبت لهذا النداء وسارعت في أداء الحقوق أدى الله عنك ورضى وأرضى من ظلمتهم حتى يجودوا بالصفح عنك ، وإلا جئت يوم القيامة مع المفلسين، الذين يُحشرون بمظالم ولكنهم تركوها في الدنيا، فمن أين يؤدون ؟! .

وأرجو أن يكون غشاء قلبك قد انخرق ليدخل فيه ما يلينه ولعلك تسأل فتقول : كيف أتحلل من المظالم ؟ .

« أسألُ الله بصدقٍ أن يُجري هذا السؤال على لسانك » .

يجيبك العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ فيقول :

« ظاهر الحديث أنه يجب على الإنسان أن يتحلل من ظلم أخيه حتى في العرض ، سواء علم أو لم يعلم ، وذلك أن المظالم إما أن تكون بالنفس أو بالمال أو بالعرض ، لقول النبي ﷺ : « **إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام** » .

فإن كانت بالنفس : مثل أن يكون قد جني عليه ، أو ضربه حتى جرحه ، أو قطع عضواً من أعضائه أو قتل له قتيلاً ، فإنه يتحلل منه بأن يمكن صاحب الحق من القصاص أو من بذل الذمة إذا لم يكن القصاص .

---

(١) البخاري برقم (٢٤٤٦) ك المظالم .

أما إن كانت في المال : فإنه يعطيه ماله ، إذا كان عنده مال لأحد ، فالواجب أن يعطيه صاحبه، فإن غاب عنه ولم يعرف مكانه وأيس منه فإنه يتصدق به عنه، والله سبحانه يعلم ويؤدي إلى صاحب الحق حقه ، وإن كان قد مات ـ أي صاحب الحق ـ فإنه يوصله إلى ورثته ، لأن المال بعد الموت ينتقل إلى الورثة ، فلابد أن يسلمه للورثة ، فإن لم يعلمهم بأن جهلهم ولم يدر عنهم تصدق به عنهم ، والله تعالى يعلمهم ويعطيهم حقهم ، وأما إذا كانت في العرض ، مثل أن يكون قد سبّ شخصًا في مجالس أو اغتابه ، فلابد أن يتحلل منه إذا كان قد علم بأنه سبَّه ، فيذهب إليه ويقول : أنا فعلت كذا ، وفعلت كذا وأنا جئت معتذرًا ، فإن عذّره فهذا من نعمة الله على الجميع ، لأن الله يقول : ﴿ **فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الشورى : ٤٠]، وإن لم يعف فليعطه مالاً ، يُشبعه من المال حتى يحلله ، فإن أبى فإن الله تعالى إذا علم أن توبة الظالم توبة حقيقية فإنه سبحانه وتعالى يُرضي المظلوم يوم القيامة .

وقال بعض العلماء في مسألة العِرْض : إن كان المظلوم لا يعلم فلا حاجة أن يُعْلمه ، مثل أن يكون قد سبّه في مجلس من المجالس ، وتاب فإنه لا حاجة أن يعلمه ، ولكن يستغفر له ويدعو له ، ويثني عليه بالخير في المجالس التي كان يسبّه فيها وبذلك يتحلل منه . والمهم أن الأمر خطير ، وحقوق الناس لابد أن تُعطي لهم ، إما في الدنيا وإما في الآخرة » [١] .

وختامًا :

ليتك أخي ـ الظالم ـ تقول لنفسك : أنا بظلمي للآخرين سبب في هزيمة الأمة ، وبقية الناس يقول كل لنفسه أنا بتركي نصرة المظلومين أتسبب في ضعف وهوان الأمة ... ومن منا لم يظلم نفسه ؟ .

---

(١) شرح رياض الصالحين (١ / ٥٤١ ، ٥٤٢) .



المبحث السابع عشر

نفع الناس بالشفاعة لهم

الشفاعة : السعي والوساطة في حصول نفع أو دفع ضر ، سواء كانت الوساطة بطلب من المنتفع بها أم كانت بمجرد سعي المتوسط ، ويقال لطالب الشفاعة : مستشفع ، وهي مشتقة من الشفع ، لأن الطالب [١] يأتي وحده فإذا لم يجد قبولاً ذهب فأتى بمن يتوسل به فصار ذلك الثاني شافعًا للأول [٢] .

قال الله تعالى : ﴿ مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا (٨٥) ﴾ [النساء : ٨٥] .

قال مجاهد : تلميذ ابن عباس ﷺ : « نزلت هذه الآيات في شفاعة الناس بعضهم لبعض » [٣] .

وفي الآية ترغيب وحضّ على الشفاعة التي تحقق المصالح المشروعة ، وبيان أن من يتوسط لقضاء حوائج العباد قد يَحصُل له من الأجر أكثر من ثواب من شفع عنده [٤] .

قال الشيخ / وهبة الزحيلي - حفظه الله - تعليقًا على هذه الآية :

« هي في شفاعات الناس - أي وسائطهم - بينهم في حوائجهم ، فمن يشفع لنفع فله نصيب وثواب لشفاعته الحسنة ، ومن يشفع ليضر فله كفل ، أي نصيب ، فهى تتضمن التحريض على الشفاعة في أمور الخير... كإنقاذ الضعفاء والمساكين ، والشفاعات في هذا الاتجاه مطلوبة لأنها تعاون على البر والتقوى ، وإبعاد للناس عن الشر والضرر ، وتحقيق البناء الاجتماعي المتين ... أما الشفاعة

---

(١) الطالب : أي طالب الحاجة ... وهو المشفوع في حقه .
(٢) الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير (١ / ٤٨٦) ط . دار سحنون المغرب .
(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (٤ / ١٨٢) ، ط . مكتبة أولاد الشيخ ، القاهرة .
(٤) التحرير والتنوير ٣ / ١٤٤) بتصرف .

السيئة في الأمور الضارة ، فقد نهى القرآن الكريم عنها لضررها وإفساد الضمائر والنفوس ، والإساءة فيها للمصلحة العامة ، ومن أمثلة الشفاعة السيئة : التوسط لإيذاء شخص ، أو الاعتداء على عرضه أو ماله ، أو السعي بالإفساد بين الناس ، أو دفع الرشاوي لتضييع الحقوق أو الاستيلاء على مال الآخرين ، أو محاولة تعطيل حدّ من حدود الله أو تبرئة ظالم أو جان أو متهم باختلاس أو تزوير أو محاولة إهدار أو إنقاص حق من الحقوق المالية أو الأدبية ... فكل هذه الأمثلة من أنواع الشفاعة السيئة ، ومن شفع شفاعة سيئة فقد وقع في الإثم الكبير وعرّض نفسه لسخط الله تعالى » [(١)] .

وقد كان النبي ﷺ يطبق هذا العمل تطبيقًا عمليًا بين أصحابه ليقتدوا به ، يقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : « لقد كان النبي ﷺ إذا أتاه طالب حاجة : أقبل على جلسائه فقال : « **اشفعوا تؤجروا ، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء** » [(٢)] . وفي هذا تحريض وحثٌ منه ﷺ على الشفاعة لإعانة الناس في قضاء حوائجهم.

والوقائع كثيرة في أنه كان يشفع ويقبل الشفاعة ما لم يكن الأمر متعلقًا بحدّ من حدود الله ـ تعالى ـ فإنه يغضب ، لأن الشفاعة في الحدود يترتب عليها ضياع الحقوق ، ولهذا أنكر على أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، لما جاء يشفع في المخزومية التي سرقت وأهمَّ الناس أمرُها ، قال له : « **أتشفع في حدٍّ من حدود الله ؟** » ، ثم قام فخطب الناس ، قال : « **إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها** » [(٣)] .

---

(١) د. وهبة الزحيلي : التفسير الوسيط (١ / ٣٥٤ ، ٣٥٥) ط. دار الفكر المعاصر ، لبنان ٢٠٠١، وانظر الشيخ / عبد الحميد كشك في رحاب التفسير (١١ / ٩٧٥) ط. المكتب المصري الحديث .
(٢) البخاري برقم (١٤٣٢) ومسلم برقم (٢٦٢٧) .
(٣) البخاري برقم (٦٧٨٨) .

وكان رسول الله ﷺ يحرص أشد الحرص على أن تكون شفاعة المسلم لإخوانه خالصة لوجه الله تعالى ، مصونة عن الشبهات ، فشدد النكير في أن يشفع الإنسان شفاعة ويأخذ في مقابلها شيئًا .

فقد جاء في الحديث عن أبي أُمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **من شفع لأخيه شفاعة فأهدى له هدية فقبلها فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الربا** » [١] .

قال الإمام الصنعاني - رحمه الله - في شرحه على بلوغ المرام : « في هذا الحديث : دليل على تحريم الهدية في مقابل الشفاعة ، وظاهره سواء كان قاصداً لذلك عند الشفاعة أو غير قاصد لها ، وتسميته ربًا من باب الاستعارة للشبه بينهما . . . » [٢] .

المسلم الضعيف في ظل انتشار الرشوة :

لقد انتشرت الرشوة ، وأصبحت أكثر الأعمال والمصالح لا تُقضى في الغالب إلا بهذا الطريق الذي يستوجب لعن السائر فيه ، فماذا يفعل المسلم في ظل انتشار الرشوة ، وشيوع الشفاعات السيئة ؟ .

إن مثل هذا الشيوع يَحَتِّم على كل مسلم أن يبذل شفاعته الحسنة لقضاء مصالح العباد وإعانتهم على تحصيل حقوقهم ، وإلا لم يجد المستضعفون طريقًا إلا الرشوة ! .

إن الأمة - الآن - تعاني أزمة « الروتين » القاتل ، في كافة المصالح تجد أكثر من قانون ميت ، وللأسف لم يفكروا في قبره والتخلص من رائحته العفنة ، والسبب في ذلك أن هناك من ينتفع من وراء هذا الميت ، يتأكل به ، لأن الناس إذا رأوا مصالحهم قد عُطِّلت أو وصلوا في سبيل قضائها إلى طريق مسدود أو شبه

---

(١) رواه أبو داود برقم (٣٥٤١) .
(٢) محمد بن الأمير الصنعانيي ، « سُبل السلام » (٣ / ٨١٦) ط . دار الفكر ، بيروت ٢٠٠٣م .

مسدود ، اضطروا لدفع المال وبذله لقضاء حوائجهم .

فإذا أردت أن تشفع فتؤجر كما قال النبي ﷺ ، انظر فإن رأيت زميلاً لك في العمل يعطل مصالح الناس أو يبتزهم فاشفع لهم عنده بغضِّ النظر عن كونك تعرفهم أو لا تعرفهم . . . .

ووفق قاعدة الجزاء من جنس العمل ، فإن من يشفع يُجازى بإذن الله على شفاعته ووساطته في الخير بمن يشفع له ، ومن يدري لعله يحظى بشفاعة النبي ﷺ ، ويُقال له نحن أحق بذا منك يا من كنت تشفع للناس في الدنيا ! .



المبحث الثامن عشر

نفع الناس بحسن المعاملة

إن الله كتب الإحسان وأمر به في كل شيء ، وأعلن أنه يحب المحسنين ، قال تعالى : ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٥] .

إن المسلم إذا عامل الناس بالحسنى قولاً وفعلاً ، نفعهم ، وذلك لأنهم سوف يرون فيه ما يغريهم بالتعامل بهذا النوع الرفيع المستوى من أنواع التعامل ، وبالعكس : لو أنه أساء معاملتهم أضرّ بهم لأنهم سوف يرون فيه قدوة سيئة ، إضافة إلى أنه سوف يُوغر صدورهم ويشغل أفكارهم ويُضيّع جهودهم عندما يفكرون بالرد عليه ومعاملته بمثل ما عَامَلهم به .

وقد حث القرآن كثيراً في آيات جامعة على معاملة الناس بالحسنى ، قال تعالى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة : ٨٣] ، وقال أيضًا : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسراء : ٥٣] .

قال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ :

« والظاهر أن هذا القول الذي أمرهم الله به لا يختص بنوع معين ، بل كل ما يصدق عليه أنه حسنٌ شرعًا ، وكان من جملة ما يصدق عليه هذا الأمر » (١) .

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ :

« ... ناسَب أن يأمرهم بأن يقولوا للناس حُسنًا بعد ما أمرهم بالإحسان إليهم بالفعل ، فجمع بين طرفي الإحسان الفعلي والقولي ثم أكد الأمر بعبادته ، والإحسان إلى الناس بالمعيّن من ذلك وهو الصلاة والزكاة » (٢) .

---

(١) محمد بن عليّ الشوكاني « فتح القدير » (١/١٥٩) ط . دار الحديث ، القاهرة .
(٢) ابن كثير ، « تفسير القرآن العظيم » (١/٤٧٥) ط . مكتبة أولاد الشيخ ـ القاهرة .

وعلى هذا فالمسلم ينبغي أن يقول القول الحسن ، ويفعل الفعل الحسن ، ويقول الأحسن في النصيحة ، والأحسن في التحية ، والأحسن في الطلب ، والأحسن في العرض ، والأحسن في الردّ والرفض .

وكذلك يفعل الأحسن ، يبرُّ الناس ويُحْسِن إليهم ويُلين لهم جانبه ، ويرفق بهم ، ويكون معهم حسن القضاء حسن الطلب ، ويصدق معهم ، ولا يغشهم ولا يخدعهم، ويفي بعهوده لهم ويتجاوز عنهم إذا بدر منهم ما يستحق المؤاخذة ويعفو عن زلاتهم، ولا يتدخل فيما لا يعنيه من شئونهم، ولا يحسُدهم على نعمة الله عليهم ، ولا يبغضهم بغير سبب، ولا يقاطعهم ولا يخاصمهم ولا يهجرهم ، فإن الخصام والقطيعة والهجران ليس من البر ، ولا يمنع عنهم رِفْده وعطاءه ، لمجرد إساءتهم إليه ، قال تعالى : ﴿ **وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** (٢٢) ﴾ [النور : ٢٢] ، سمعها أبو بكر رضي الله عنه فقال : بلى وأعاد نفقته على مسطح بن أثاثة بعد أن قطعها عنه بسبب خوضه مع من خاض في اتهام ابنته العفيفة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها [١] .

والناس أمام إحسان المسلم في معاملته درجات ، وكلٌّ يُبذَلُ له من الإحسان بقدر مَالَهُ من الحق ، فالوالدان وذووا القربى أحق الناس بإحسان المعاملة ، ثم يليهم الضعفاء ذووا الجناح الكسير من اليتامى والأرامل والمساكين ثم عموم الناس ، وهذا ترتيب الله تعالى للناس في الإحسان إليهم ، قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ** (٨٣) ﴾ [البقرة : ٨٣] .

---

(١) **انظر** : الخبر في « أسباب النزول » للواحدي ، (ص١٨٠) ط . دار الفكر ، بيروت ٢٠٠١م .

قال العلامة القاسمي - رحمه الله معلقاً على هذه الآية :

« الإحسان هو الذي يُقوّي غرائز الفطرة ويوثق الروابط الطبيعية، حتى تبلغ البيوت في وحدة المصلحة درجة الكمال،والأمة تتألف من البيوت - أي العائلات - فصلاحها صلاحها ، ومن لم يكن له بيت لا تكون له أمة ، وذلك أن عاطفة التراحم وداعية التعاون إنما تكونان على أشدهما وأكملها في الفطرة بين الوالدين والأولاد، ثم بين سائر الأقربين،فمن فسدت فطرته حتى لا خير فيه لأهله ، فأي خير يُرجى منه للبعداء والأبعدين؟،ومن لا خير فيه للناس لا يصلح أن يكون جزءاً من بنية أمته،لأنه لم تنفع فيه اللُّحمة النسبية التي هي أقوى لحمة طبيعية تصل بين الناس،فأي لحُمة بعدها تصله بغير الأهل فتجعله جزءاً منهم،يسرُّه ما يسرُّهم،ويؤلمه ما يؤلمهم،ويرى منفعتهم عين منفعته،ومضرتهم عين مضرته » (١).

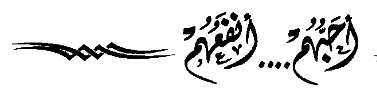
« إن أولى الناس بفضل السرور وكرم العيش ، وحُسن الثناء من لا يبرح مسكنه من إخوانه وأصدقائه من الصالحين موطوءاً ، ولا يزال عنده منهم زحام ، ويسرُّهم ويسرُّونه ، ويكون من وراء حاجتهم وأمورهم ، فإن الكريم إذا عَثر لم يستقلْ إلا بالكرام ، كالفيل إذا وَحِلَ لم يستخرجه إلا الفيلة » (٢) .

وحجم ومقدار الخير الذي يعود على المجتمع بأسره من جرَّاء معاملة الناس بالحسنى لا يُقدِّره العاقل حق قدره إلا إذا نظر إلى حجم ومقدار الضرر العائد على المجتمع بأسره من جراء سوء التعامل بين الناس :

- آباء وأمهات عقّهم أبناؤهم فلم يحسنوا معاملتهم ! .
- أقارب وذووا رحم تقاطعوا وتهاجروا ! .
- جيران تخاصموا وتقاتلوا ! .

---

(١) محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي (١ / ٣٨٠) ط. دار الحديث ، القاهرة ٢٠٠٣م .
(٢) الأدب الصغير ، ابن المقفع ، (ص٧٥ ، ٧٦) ، مطبعة جمعية العروة الوثقى ، الإسكندرية ، ١٩١١م .



* مساكين ويتامى وأرامل شُرِّدوا وضُيِّعوا ! .
* رذائل وبذاءات وفحش انتشر ! .
* فضائل وقيم وفِعَال خير لم يأبه لها كثير من الناس ! .
* أنانية وأثرة وطمع وحسد وحقد عشعش في القلوب !.
* كبْر وتعالٍ وطبقية بغيضة شاعت وفشت ! .
* أزواج وزوجات تباغضوا وتفرقوا ، وضاع بسبب ذلك الأولاد ! .
* كل هذا بسبب سوء المعاملة بين الناس ، وغفلتهم عن نداء ربهم : ﴿ **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾ [البقرة : ٨٣] ، وقال أيضًا : ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [الإسراء : ٥٣] .
* وعن نداء نبيهم ﷺ : « **أتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن** » [١] .
* ويا ليت من يجهل طرق المعاملة الحسنة يمكّن من يَعْلم من نفسه حتى يتعلم.

قال ابن القيم - رحمه الله - :

« أنفع الناس لك رجل مكنك من نفسه حتى تزرع فيه خيرًا ، أو تصنع إليه معروفًا ، فإنه نِعْم العون لك على منفعتك وكمالك ، فانتفاعك به في الحقيقة مثل انتفاعه بك أو أكثر ، وأضرّ الناس عليك من مكّن نفسه منك حتى تعصى الله فيه ، إنه عون لك على مضرتك ونقصك » [٢] .

---

(١) سُنن الدارمي برقم (٢٨٣٣) ، والحاكم (١/ ٥٤) ، وقال صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٢) الفوائد (ص٢٤٨) ، ط. دار النفائس ١٩٩٨م .

المبحث التاسع عشر

نفع الناس بكف الأذى عنهم

نأتي إلى خاتمة المطاف في الطرائق العملية لتفعيل المسلم لنفع الآخرين ، وهي كفُّ الأذى عنهم .

❁ وكفُّ الإنسان أذاه عن الآخرين تحصُل به سلامتهم،ولهذا قال النبي ﷺ : « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده** » [١] .

« **سلم المسلمون من لسانه** » ، فلا يسبّهم ولا يلعنهم ولا يشتمهم ، ولا يغتابهم ، ولا ينم فيهم ، كل آفات اللسان المتعلقة بالخلق قد كفّها فسلم الناس منه ، وسلم المسلمون من يده أيضًا : لا يعتدي عليهم بضرب ولا سرقة ولا إفساد مال ولا غير ذلك ، هذا هو المسلم » [٢] .

وجاء في رواية أخرى : « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم** » [٣] .

فالأصل أن الإسلام والإيمان يقتضيان من مُدَّعيهما إشاعة السلام والأمن والأمان ، أما من يُروِّع الناس في أنفسهم أو أموالهم أو أعراضهم ، بأدنى وسائل الترويع فليس بمؤمن كامل الإيمان ، قال النبي ﷺ : « **لا يحل لمسلم أن يُروِّع مسلماً** » [٤] .

وتوضح بعض الروايات المناسبة التي قال فيها النبي ﷺ هذا الكلام ، فرواية [٥] ، تذكر أنهم كانوا في سفر معه ﷺ فنام رجل منهم فانطلق بعضهم

---

(١) البخاري برقم (١٠) في الإيمان ، ومسلم برقم (٦٤) في الإيمان .
(٢) شرح رياض الصالحين ، لابن عثيمين (٢ / ١٦٥٩) .
(٣) صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم (٦٧١٠) .
(٤) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٨٠٧) .
(٥) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٨٠٥) .

إلى حبل كان معه فأخذوه ففزع الرجل ، وأخرى [١] قريبة منها غير أنها تذكر أنهم أخذوا منه سهمًا من كنانته فانتبه الرجل ففزع . . . .

ولا شك أن هذا كله كان على سبيل المزاح ، ومع ذلك جاء النهي لما في هذا المزاح الثقيل من ترويع المسلم ، بل في رواية قال : « **لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعبًا ولا جادًّا** » [٢] .

فكيف بمن يؤذي المسلمين ويروّعهم ليس مازحًا ، بل قاصدًا تخويفهم؟ ، كمن يخوفهم بالسلاح أو غيره من الحِيَل ، يتصل شخص بشخص ينقل إليه خبرًا كاذبًا : ابنك سقط من أعلى . . . . أو لامرأة : زوجك تزوج غيرك . . . وغير ذلك من التفاهات ، ولكن هؤلاء يستحقون لعنة الملائكة حتى يكفُّوا .

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال أبو القاسم ﷺ : « **من أشار إلى أخيه بحديد ، فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي وإن كان أخاه لأبيه وأمه** » [٣] ، والملائكة لا تعلن إلا ما لعنه الله - عز وجل - .

والعجيب أن حديث « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده** » ، من الأحاديث المشهورة وكل الناس يحفظونه ، ولكن ربما لا يفهم الكثير معناه ، وإلا لو فهموه لرأينا أثر هذا الفهم في واقع الناس .

إن من الناس من لا يُحسن أن يفعل الخير ، ولا يحضُّ عليه ، ولا يترك محبي الخير وشأنهم ليفعلوا . . . وبالطبع مثل هذا الشخص ييأس الناس من أن يتأتى منه نفع ، علاوة على ما يلحقهم من أذاه ، وهذا هو الذي قال فيه النبي ﷺ : « **إن شرّ الناس من ودَعه الناس اتقاء فُحشه** » [٤] .

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٨٠٦) .
(٢) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٨٠٨) .
(٣) مسلم برقم (٢٦١٦) ك البر والصلة .
(٤) البخاري برقم (٦٠٥٤) ك الأدب .

لذلك كان النبي ﷺ إذا سأله سائل عن أفضل الأعمال أرشده ، فذكر أعلاها وأفضلها ، ثم يتدرج معه في ذكر ما دونها ، وفي الأخير ربما قال له : كُفّ أذاك عن الناس ، أو أمسك عن الشر فإنه صدقة .

واقرأ هذين الموقفين وتأملهما جيداً :

عن أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، أي الأعمال أفضل؟ ، قال : « **الإيمان بالله والجهاد في سبيله** » ، قلتُ : أي الرقاب أفضل؟ ، قال : « **أنفسُها عند أهلها وأكثرها ثمنًا** » ، قلتُ : فإن لم أفعل ؟ ، قال : « **تُعِينُ صانعًا أو تصنع لأخرق** » (١) ، قلت : يا رسول الله ، أرأيت إن ضعُفت عن بعض العمل ؟ ، قال : « **تكفُّ شرَّك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك** » (٢) .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **على كل مسلم صدقة** » قال : أرأيت إن لم يجد ؟ ، قال : « **يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق** » ، قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ ، قال : « **يعين ذا الحاجة الملهوف** » ، قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ ، قال : « **يأمر بالمعروف أو الخير** » ، قال : أرأيت إن لم يفعل ؟ ، قال : « **يمسك عن الشر فإنها صدقة** » (٣) .

ومن خلال تأملك وأنت تقرأ ، لابد أنك لاحظت كثرة أبواب الخير المفتوحة والتي ينبغي أن يسارع الناس إليها ، لأن الله ـ تعالى ـ يقول : ﴿ **فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ** ﴾ [المائدة :٤٨] ، ورسوله ﷺ يقول : « **إذا فتح لأحدكم باب من الخير فليلجه ، فإنه لا يدري متى يُغلق** » .

والعاجز هو من وقف دون تلك الأبواب جميعًا ، فلم يلج شيئًا منها ولا حتى

---

(١) الأخرق : هو الذي لا يحسن صنع شيء لعجز أو هرم أو نحوه .

(٢) البخاري برقم (٢٥١٨) في العتق ، ومسلم برقم (١٣٦) في الإيمان .

(٣) البخاري برقم (٦٠٢٢) في الأدب ، ومسلم برقم (٥٥) في الزكاة .

أن يكف شره عن الناس ، وهذا ربما لو مات لأراح واستراح .

ومن طريف ما يُروى : أنه قال رجل لحكيم : ما خير ما يُؤتَى المرء ؟ .

قال : غريزة عقل .

قال : فإن لم يكن له ؟ ، قال : فتعَلُّم علمٍ .

قال : فإن حُرِمَهُ ؟ ، قال : صِدُق اللسان .

قال : فإن حُرِمَهُ ؟ ، قال : سكوتٌ طويل .

قال : فإن حُرِمَهُ ؟ ، قال : مِيَتةٌ عاجلة (١) .

قال الشيخ / محمد الغزالي - رحمه الله - معلقًا على الحديث الأخير :

« لابد إن كان مسلمًا أن يقدّم شيئًا ، يستحيل أن يكون المسلم عقيمًا ، لا أثر له ولا ثمرة ، وإني لأشعر باستخزاء وحياء حين يقال : جمهرة العالم الثالث من المسلمين ، أو أن المسلمين ذيل القافلة البشرية !! ، أين الأمر العام الصادر لهم ﴿ **وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ⁽٧٧⁾ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ** ﴾ [الحج : ٧٧-٧٨]، أين الصدقة المكتوبة على كل فرد منهم يؤديها فقيرًا كان أو غنيًا ؟ .

الغريب أن الإسلام نبّه إلى صنف آخر من الناس لا يعمل ويكره العاملين ، ينظر بعين السخط إلى ما يؤديه الآخرون يلتمس عيبًا فيه ليتحدث ويطعن في صاحبه ، فعن أبي مسعود الأنصاري لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا - أي نؤجر أنفسنا حمَّالين لنتصدق بالأجرة ، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير ، فقال - المنافقون - : مُرَاءٍ ، وجاء آخر فتصدق بصاع ، فقالوا : إن الله لغني عن صاع هذا ... ، لا الكثير يرضيهم ولا القليل يرضيهم ، إنهم هدَّامون طعَّانون ، فنزل قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ⁽٧٩⁾ ﴾ [التوبة : ٧٩] .

---

(١) ابن المقفع : الأدب الصغير ، (ص٦١) .

والواقع أن العاجزين عن العطاء مهرة في الغمز واللمز ، والأمم التي لا تعرق في ميادين الكدح لا ينقطع ضجيجها في نقد الآخر » (١) .

واعلم أن الصحابة ﷺ عندما كان الرجل منهم يسأل النبي ﷺ عن طرق الخير وأبوابه ، ويقول : « أرأيت إن لم أفعل » ، « أرأيت إن لم أستطع » ... لم يكن هذا لنزول هممهم أو لعجزهم أو بحثًا عن الأيسر ، وإنما هذا لفقههم ، فالرجل منهم يريد أن يفتح أمام نفسه - وأمام الأمة - أكثر من باب للخير ، وينهض فيعمل بها جميعًا ، ويضرب في كل منها بسهم ، متمنيًا أن يُنادى عليه من جميع أبواب الجنة ، وذات يوم كان النبي ﷺ يحدّث أصحابه ﷺ ليتفاعلوا ويتسابقوا نحو الخيرات ، ذكر أن كل من تميزّ في باب من أبواب الخير يُنادَى عليه يوم القيامة منه ليدخل الجنة ، قال ﷺ :

« ... **من كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان ، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة** » فقال أبو بكر ﷺ : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما على من دُعي من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ ، قال : « **نعم ، وأرجو أن تكون منهم** » (٢) .

إننا الآن في كثير من المجتمعات الإسلامية نجد غفلة كثير من الناس عن كثرة طرق الخير ، وترتب على هذا أن ولج أكثر الغافلين في طرق الشر ، فظلموا أنفسهم وظلموا غيرهم ، وأصبح أقصى ما يتمناه المسلم من المسلم - ليس فعل الخير - وإنما أن يكفَّ عنه شره وأذاه !!! .

واقرأ وتأمَّل قوله ﷺ : « **خيركم من يُرجى خيره ، ويُؤْمَن شره ، وشركم من لا يُرجى خيره ، ولا يُؤْمَن شره** » (٣) .

---

(١) كنوز من السُّنَّة (ص١٤٨ ، ١٤٩) ، وانظر قصة أبي مسعود في البخاري برقم (٤٦٦٨) .

(٢) البخاري برقم (١٨٩٧) ك الصوم .

(٣) صحيح الجامع الصغير (٣٣٢٠) .

فهل يا أخي العاقل وأختي العاقلة - بعد كل هذا - ستبقى عاطلاً عن فعل الخير ، ولو أن تكف شرك وأذاك عن الناس ؟ .

إن كفّ الأذى والإمساك عن الشر برغم ما فيه من الخير إلا أنه نفع قليل لا يتناسب مع المكانة المرصودة للمسلمين ، في عمارة الكون ، وقيادة الناس ، وتغيير الوجه القبيح للحياة .

فهل يحقق العجز تلك المكانة :

✿ ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ .

[آل عمران : ١١٠] .

✿ ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

✿ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾ [الحج : ٧٧ – ٧٨] .



المبحث العشرين

عرض لنتائج الدراسة الميدانية

هذه دراسة ميدانية أجرتها مؤسسة أنداء للإنتاج الفني والتوزيع ، لاستطلاع مدى جاهزية واستعداد أفراد المجتمع للتفاعل مع موضوع : « **أحبهم أنفعهم- أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس** » .

وكانت أداة الدراسة استبيانات وزعت على عدد معقول من الطلاب الجامعيين وكذلك بعض طلاب المرحلة الثانوية ، وبعض ربَّات البيوت ، وقد شاركتُ بوضع أسئلة الدراسة وفحص النتائج ، وتكوَّن الاستبيان من عشرة أسئلة صُدِّرت بهذا النداء :

« **أجب عن هذه الأسئلة بصدق وكن متفاعلاً ، فهذا الاستبيان دراسة ربما تثمر تغييراً للمجتمع بإذن الله** » .

وسبب هذا التصدير ما نجده في بعض الأحيان من عدم وعي بعض الناس أمام هذه الدراسات فربما يوزع الاستبيان ويتعاون الناس في الإجابة ، وهذا من شأنه أن يعطي نتائج غير واقعية .

وكانت النتائج كالآتي :

السؤال الأول : هل أنت حريص على أن تكون من أحب الخلق إلى الله ؟ .

وجاءت الإجابات : عليه بنسبة حوالي ٩٧٪ يقولون : « نعم ، وبكل تأكيد ، ومن أعماق قلبي أحب ذلك ، ومن الذي لا يحرص على هذا ... » .

والنسبة الباقية : بعضهم قال : سؤال لم يخطر على بالي ، وبعضهم قال : حريص ولكن الهمة غير موجودة ، وبعضهم قال : بصراحة لست حريصاً كل الحرص ، ولكن أحياناً أحب ذلك .

السؤال الثاني: ما هو دليل حرصك على أن تكون من أحب الخلق إلى الله؟.

وجاءت الإجابات عليه أكثرها تقول : « العمل والسعي إلى ما أمر الله - أحاول أن أعمل الأعمال التي تقربني من الله - أحاول قدر الإمكان ألا أظلم الناس وأحسن إليهم لأني أعرف أن الله قد يعفو عن حقوقه ، ولكنه لا يغفر حقوق الناس إلا برضاهم - أُحِبّ الناس - كلما سنحت الفرصة لعمل الخير أحاول عمله - الحرص على الأعمال التي فيها نفع للغير - أُكْثر من إدخال السرور على الناس وتفريج الكرب ومن زيارة المرضى لأني كأني زرت الله عز وجل - اجتناب المحرمات وفعل بعض الخيرات كتدريس القرآن والنصح للمدرسين ، والتعامل بأخوّة مع الكل والمحافظة على الصلوات والبر - أقوم بتفريج همّ أو نصيحة أو قضاء حاجة خاصة في الأقارب ، فإني أحب ذلك كثيراً وأسأل الله العون - المحافظة على الصلوات والتبسم في وجوه الآخرين ، والإحسان إلى اليتامى ، مساعدة المحتاجين والمسارعة إلى فعل الخيرات ، تركي ما لا يعنيني - بر والدي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حدود استطاعتي ، أن أسعى جاهدة لنفع الناس ، أتقرب إلى الله بالنوافل . . . » .

والنسبة الباقية : بعضهم قال :لا أعلم ، وبعضهم قال :لا أستطيع الجواب ، وبعضهم قال : لا دليل لكن سنسعى بإذن الله .

السؤال الثالث: هل تعرف أهم الأسباب التي تجعلك من أحبّ الخلق إلى الله؟.

وجاءت أكثر الإجابات عنه : نعم ، ثم يذكر بعض الأسباب ، مثل : « أن أحب للناس ما أحبي لنفسي ، الزهد في الدنيا ، منفعة الناس ، عدم إيذاء الناس بأي شكل من الأشكال ، السير في خدمة الناس قدر الاستطاعة ، فعل الخير ، حُسن الخُلق ، حب الخير للغير ، المحافظة على الصلوات ، حب الله ورسوله ﷺ والصالحين ، السعي إلى نشر دين الله .

وبعض الإجابات : جاءت بلا ، ربما نحن مقصرين في البحث عن الأسباب

التي تجعلنا من أحب الخلق إلى الله ، لا وأرجو أن أعرفها . . . .

السؤال الرابع : أذكر نصَّ حديث يشير إلى بعض الأعمال التي تجلب محبة الله للعبد ؟ .

وقد جاءت أكثر الإجابات عنه : تذكر حديث : « **أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس** . . . » ، وحديث : « **وما زال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه** » ،وحديث : « **من نفَّس عن مسلم كربة نفَّس الله عنه** . . . » ، وحديث : « **ازهد في الدنيا يحبك الله** . . . » ، وحديث : « **كان الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه** . . . » ، وأحاديث أخرى دلالتها غير مباشرة .

وبعض الإجابات جاءت : بلا أحفظ ، لا يحضرني الآن ، أو تُرك فراغًا . . .

السؤال الخامس : كم فعل خير صدر منك وعاد نفعه على الناس في هذا الأسبوع ؟ .

وقد جاءت الإجابات عنه بنسبة عالية جداً : بعضها يقول :كثيرة والحمد لله ، وبعضها يحدد أرقامًا متفاوتة « ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ١٣ ، ١٤ . . .) .

وجاءت بعض الإجابات : لا شيء ـ للأسف لم أفعل . . . .

السؤال السادس : كم نصيحة وجهتها إلى إخوانك من أجل أن يتعدى نفعهم إلى غيرهم ؟ .

وجاءت الإجابات : عليه بنحو إجابة السؤال الخامس ، بعضهم يحدد أرقامًا متفاوتة ، وبعضهم يقول : كثير ، وبعضهم يقول : ولا نصيحة ! .

السؤال السابع : إذا أردت نصح أخ أو صديق لتفعيله من أجل أن يشارك في نفع الناس ، فماذا تقول له ؟ .

جاءت أكثر الإجابات عنه تقول : « أدخل له من باب حبّ الله ، أُذكِّره بفائدة هذا العمل عند الله ، أذكره بأن الدنيا زائلة والعمل الصالح يبقى ، أقول

له : إن الخير كله في نفع الناس ، ومشاركة المجتمع في أفراحه وأتراحه ، أقول له : أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس ، أقول له : إن كنت تريد أن تكون سعيداً كن أكثر الناس عطاءً ، أقول لها : ضعي يدك في يدي لنصنع لبنة في المجتمع ...» .

وآخرين لم يجيبوا ، وآخرين ذكروا أنهم لن ينصحوا لأن كثيرًا من الناس لا يقبل النصح ... .

السؤال الثامن : مَنْ أقرب الناس حولك تراه فعّالاً ونافعًا للناس ، ويمكن أن تقتدي به وتحذو حذوه ؟ « ابحث عنه فسيعينك كثيرًا في أن تكون نافعًا » .

وجاءت أكثر الإجابات : تذكر أسماء أشخاص أو مؤسسات، بعضهم يقول: زوجتي أو زوجي ، وبعضهم يقول : أبي أو أمي أو أختي ، وبعضهم يقول : أستاذي ، أو أساتذتي ، أو خطيب مسجد ... .

وجاءت بعض الإجابات : لا يوجد ، لا أعتقد أن لهم وجود ... .

والسؤال التاسع : هل تعرف عنوان كتاب - أو فصل في كتاب - تدل إخوانك عليه ليدرسوا أهمية السعي في نفع الناس ليحظوا بمحبة الخالق ؟ .

وجاءت الإجابات : أكثرها يذكر أسماء كتب أو فصول ، ولكنها في الغالب إجابات مرتجلة ، وما ذكر ليس دقيقًا ... .

وبعض الإجابات : فراغ ، أو لا أعلم ... .

السؤال العاشر : هل تعتقد أن الناس لو سَعَوْا إلى أن يحبهم الله ، ودخلوا من باب أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس » ، أن يكون هذا السعي سبيلاً لتفعيل المجتمعات الإسلامية ؟ .

وقد جاءت الإجابات عنه : نسبة حوالي ٩٩٪ بنعم ، ولا شك في ذلك، وأنه أفضل السُّبل لتفعيل الأمة الإسلامية .

والنسبة الباقية : فراغ ، أو لا أعتقد .

تعليق عام على الدراسة :

ومن خلال هذه الدراسة بدا واضحًا أن معدل جاهزية واستعداد الناس للمشاركة في النفع وفعل الخير مرتفع - بحمد الله - وهؤلاء وأمثالهم بحاجة إلى متابعة ومزيد من التفعيل ليعظم أثرهم في تفعيل غيرهم ، وهذا من شأنه أن يجدد الأمل في عيون كثير ممن أصابهم الإحباط واليأس من كثرة ما يرون من زهوة الشر ، وسلبية كثير من الناس وعجزهم عن فعل الخير ، وهذه الطائفة التي رفعت معدل الزئبق في ترمومتر القياس ليشير إلى بقاء الخير وبكثرة هي : الطائفة التي أخبر النبي ﷺ أنها لا تزال ظاهرة على الحق لا يضرها من خالفها حتى يأتي وعد الله . . . .

إيجابيات وسلبيات أبدتها هذه الدراسة :

ولقد أظهرت هذه الدراسة بعض الإيجابيات والسلبيات الجديرة بالتسجيل ، فمن الإيجابيات :

✿ تقول إحدى الأخوات المشاركات في هذا الاستبيان : « جزاكم الله خيراً على هذا الاستبيان ، فقد بيَّن بالنسبة لي - على الأقل - ضعف حفظي للأحاديث النبوية ، فأنا أستعين بمعنى الحديث فقط ، وهذا نقص يجب تلافيه » .

✿ وتقول أخرى عن حصول التفاعل في نفسها لسماع هذا الحديث : « أحبّ الناس . . . » : « هذا ما وجدته في نفسي عندما حاولت تطبيق هذا الحديث ، وإن كنت لم أسمع ذلك الحديث إلا قبل أسبوع تقريباً ، وجدت راحة في نفسي ورضا كلما عملت عملاً وتذكرت هذا الحديث ، بعد أن كنت أشعر بالضيق والانزعاج من الأعمال المنزلية لانشغالي بالدراسة ، وأعتبر ذلك من أهم الإنجازات التي استطعت أن أحققها في نفسي ، وهكذا يبقى « أحب الخلق إلى الله أنفعهم للناس » ، قاعدة عظيمة لتفعّيل المجتمعات الإسلامية وحثها على السعي والعمل بدون انتظار أي جزاء من أحد إلا من الله - عز وجل » .

وتقول أخرى : « نسأل الله تعالى أن يجعل هذا الاستبيان في حسنات من عمله » .

ومن السلبيات :

أخذ أوراق الاستبيان ، ثم إهمالها وعدم ردها ، وهذا يدل على عدم فاعلية من يصدر عنهم مثل هذا الفعل ، والله أعلم .

الخاتمة

نسأل الله حسنها في جميع الأمور

الحمد لله،والصلاة والسلام على رسول الله - ﷺ - سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

وبعد :

فقد مضينا مع صفحات هذا البحث المتواضع ، نثبت فيها ما فتح الله به من أفكار ، ونسطر تذكرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

ويمكن أن نخلص إلى بعض النتائج والتوصيات :

[١] البحث عن طريق الوصول إلى محبة الخالق - سبحانه وتعالى - وسيلة ممتازة لتفعّيل الأمة للنفع وفعل الخير ، بحيث يبحث المؤمنون جميعًا عن الوصول إلى تلك المنزلة السامية،ويبرهنون على صدقهم في البحث بأعمال نافعة ، تحقق المصالح العامة للمجتمع ، فهذا مما يُرضي الله -عز وجل- .

[٢] إحياء الواجبات الكفائية ، طريقٌ مهمٌ لتفعّيل الناس لفعل الخير واحتسابه، وذلك بتوضيح أن تبعة الواجب الكفائي لا تسقط بمجرد قيام البعض به، وإنما لابد من بلوغ حدّ الكفاية ، فإذا لم تحصل الكفاية تحوّل إلى واجب عيني ، وعلى فرض أنه سقط الإثم بقيام البعض ، فإن الأجر لمن قام بالفعل أو أعان عليه ، أما من لم يشارك فإن كان لا يأثم فإنه - أيضًا - لا يُؤجر .

[٣] المسلم ينبغي أن يتعدى خيره إلى غيره ، ولا يقف عند حدود نفسه وذاته فقط ، وإنما ينبغي أن يكون أهلاً للأمثلة التي ضربها له النبي ﷺ ، بالنخلة مرة ، وبالنحلة مرة في دوام النفع واستمرار صدور الخير عنه .



[٤] من نتائج البحث ظهر واضحًا كثرة أبواب الخير وطرقه ، وعلى كل مسلم أن يحرص أن يضرب في كل باب بسهم بقدر المستطاع ، ولا يبقى عاجزاً عاطلاً عن فعل الخير .

[٥] من خلال الدراسة الميدانية لاستطلاع مدى جاهزية واستعداد الناس للتفاعل مع النفع وفعل الخير ، أشارت النتائج إلى أن معدّل الاستعداد مرتفع - بحمد الله - إلى حدٍّ كبير ، مما يحتم على العناصر الفعّالة في الأمة تكثيف العمل لتفعيل المجتمعات نحو فعل الخير .

[٦] نفع الناس بتعليمهم ومحْو جهالتهم مسئولية خطيرة وثوابها عظيم ، وخصوصًا في ظل ضعف مخرجات مؤسسات التعليم في كثير من البلدان الإسلامية ، حتى أصبحت تُخرّج موظفين ، وقلّ أن تجد من بينهم مبدعًا في مجاله ، وإن وجُد سرعان ما تُقتل مواهبه الإبداعية ، مما يحتّم أ ن تتضافر الجهود من البيوت والمدارس والمعلمين ووزارات التعليم للعمل على رفع مستوى الخريجين .

[٧] إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، دليل على حيوية الأمة وإيجابيتها ، كما قال تعالى : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ [التوبة : ٧١] ، فهذا وصف لمشاركة كل أفراد الأمة رجالاً ونساءً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله ﷺ في كافة ما أمرا به ، فينبغي أن يساهم الجميع في أداء هذا الواجب بقدر استطاعته ، وليست المساهمة بأن نتزاحم جميعًا على منبر مسجد كلنا نريد أن يكون الخطيب أو المحاضر ، ليأمر وينهى ! .

وإنما يكون المسلم - الحق - هو منبر ومنارة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير في كل مكان ، في السوق وفي الشارع وفي البيت وفي

العمل وفي وسيلة المواصلات . . . وبالفقه والرفق حتى لا ننفر الصيد .

[٨] إن توعية الناس وتصحيح المفاهيم لهم - الآن - في ظل حملات الغزو الفكري ، وبُعْد الناس عن ثقافتهم وتراثهم عمل هام ، والذي يشارك في القيام به يُقدّم نفعًا عظيمًا للأمة ، وليس شرطًا أن يكون القائم بهذا العمل هو أول من صحح هذا المفهوم ، ولكن يكفي أن ينشر ما صححه علماؤنا الأجلاء من مفاهيم من خلال دراساتهم الضخمة للتراث وإعادة النظر فيه ومحاولة صياغته بما يتناسب مع روح ومشكلات العصر .

[٩] العمل على تنمية المجالات الحِرَفية كالزراعة والصناعة ونحوها ، من أجل توفير الاكتفاء الذاتي للأمة ، أمر ضروري وهام ، وهو الحل الأمثل لتوفير وتحقيق ما يسمى « الأمن القومي » سواء في مجال الأمن الغذائي أو التكنولوچي ، كما يقول الدكتور / عبد الباقي عبد الكبير : « لم يكن جنود الجيش المصري بأقل عددًا أو شجاعة من جنود الحملة الفرنسية عندما وقعت المواجهة بين الفريقين على مشارف القاهرة في سنة ١٧٩٨م ، غير أن المدفع الفرنسي « المتفوق تكنولوچيًا » حدّد نهاية المعركة بصورة حاسمة ، ومنذ ذلك الحين والصورة نفسها تكاد تتكرر بأشكال مختلفة ، والتقدم التكنولوچي المطرد يومًا بعد يوم يزيد الهوة ويعمق الإحساس بها بين دول العالم الإسلامي والدول الصناعية المتقدمة ، قد يدعو بعضنا لليأس من قيام قائمة الوطن العربي والإسلامي من جديد ، أو للتسليم بحتمية التخلف التكنولوچي » [١] .

وكذلك عدم تحقيق الأمن الغذائي، والاعتماد على العالم الخارجي يشكل خطرًا كبيرًا ، إذ يمكن استخدام الغذاء كسلاح تهدد به الدول ذات الرصيد العالي في الأمن الغذائي الدول المتخلفة في هذا المجال، وقد هدّدت

(١) **انظر** : إحياء الفروض الكفائية (ص٨٧ ، ٨٨) .

الولايات المتحدة الأمريكية بالغذاء عندما حظر العرب النفط في حرب ١٩٧٣م بين مصر وإسرائيل ، بل وتستعمله كل يوم كوسيلة للضغط علينا من أجل أن نرضخ لتعليماتها وأهدافها ، وإلا منعت المنحة ... (١) .

وهذا يعني أن كل مسلم يعمل بالزراعة ينبغي أن يصاحب هذه النية ، وهي العمل حتى توفير الاكتفاء الذاتي للأمة ، وليس مجرد الاهتمام الشخصي على مستوى الأفراد .

[١٠] إعانة المرضى ومواساتهم ومَدُّ يد العون لهم في مثل تلك الحالة عمل جليل يدل على نظرة الإسلام العميقة لكل أفراد المجتمع ، حتى لا يشعر أهل الابتلاء بأن الابتلاء غضب من الله عليهم ، ويتحقق هذا بعيادة المرضى وتقديم العلاج وبناء المستشفيات إن أمكن ، وتحصيل الجديد في علوم الطب بالنسبة للأطباء .

[١١] علاج كثير من المشكلات الاجتماعية في توسيع وتعميق مجالات التكافل والتعاون ، وذلك بكفالة الأيتام والأرامل والمساكين وقضاء ديون الغارمين ، والتجاوز عن المعسرين ، كل هذه الأعمال النافعة من شأنها أن تحدّ من وجود أفراد في المجتمع يشعرون بالضياع ، ومن ثمَّ يأمن المجتمع من أن يحقدوا أو ينقموا منه .

[١٢] أهمية نفع المسلم لإخوانه بالدعاء لهم بظهر الغيب ، وبستر عوراتهم ، وبإماطة الأذى عن الأماكن العامة ، وبإقامة الحدود لتوفير الأمن لهم والأخذ على أيدي العابثين ، وكذلك نفعهم بدفع الظلم عنهم ، والشفاعة لهم ، ليحصلوا على حقوقهم المشروعة ، ومعاملتهم بالحسنى والإصلاح بينهم، وكف الأذى عنهم... فهذه كلها طرائق عملية لنفع الناس ، وللفوز بمحبة

---

(١) انظر : البعد الاقتصادي للأمن القومي ، للاستاذ/ مجدي الصبحي (ص٤٩٨) ط. معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية ١٩٩٣م .

الخالق سبحانه وتعالى،وبقدر ما يعلو إنجاز المسلم في هذه الأبواب النافعة ، يعلو مقدار حب الله تعالى له ، وهذا ما يدل عليه أفعل التفضيل في قوله ﷺ : « **أحب الخلق إلى الله أنفعهم للناس** » .

هذا ، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يكتب له ولكاتبه وقارئه القبول ، وأن يغفر زلاتنا ، وأن يشرح للحق صدورنا جميعًا ، وأن يوقظنا من غفلاتنا ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه الفقير إلى عفو ربه المنان
أبـــو علـــيّ

عماد علي عبد السميع حسين

رئيس قسم علوم القرآن بكلية العلوم الإسلامية

المراجـــع

[١] القرآن الكريم ـ جلّ من أنزله ـ .

[٢] سلسلة الأحاديث الصحيحة ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ط. مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٢٠هـ .

[٣] الموافقات في أصول الشريعة، للإمام إبراهيم بن موسى الشاطبي، ط. دار المعرفة ، بيروت .

[٤] قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، لعز الدين عبد السلام، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت .

[٥] مجموع الفتاوى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية .

[٦] صحيح الترغيب والترهيب، للشيخ الألباني،ط. دار المعارف، الرياض ١٤٢١هـ.

[٧] إحياء الفروض الكفائية سبيل تنمية المجتمع ، للدكتور/ عبد الباقي عبد الكريم، سلسلة كتاب الأمة القطرية عدد (١٠٥) .

[٨] صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري،ط.دار ابن حزم، بيروت.

[٩] صحيح مسلم ، للإمام مسلم بن الحجاج ، ط. دار ابن حزم ، بيروت .

[١٠] سُنن الترمذي ، للإمام محمد بن عيسى بن سورة ، ط. دار ابن حزم ، بيروت .

[١١] صحيح المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح ، للحافظ الدمياطي ، تحقيق زكريا ابن غلام قارد الباكستاني ، ط. دار ابن حزم ، بيروت ٢٠٠١م .

[١٢] شرح العقيدة الواسطية ، د. دار ابن الجوز ي، القاهرة ، وبها ثلاثة شروح : لابن عثيمين ، والفوزان ، وهراس .

[١٣] العقيدة في الله ، للدكتور/عمر سليمان الأشقر،ط. دار النفائس عام ١٩٩١م.

[١٤] في ظلال القرآن ، للأستاذ/سيد قطب،د. دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م .

[١٥] مدارج السالكين ، للإمام ابن القيم ، ط. دار إحياء التراث العربي ، بيروت ٢٠٠١م.

[١٦] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ط. دار ابن حزم ، بيروت ٢٠٠٣م .

[١٧] وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، ط. دار صادر ، بيروت ، تحقيق إحسان عباس.

[١٨] سير أعلام النبلاء ، للإمام الذهبي ، ط. مكتبة الصفا ، القاهرة ١٤٢٤هـ .

[١٩] فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر ، ط. دار الفكر ، بيروت ٢٠٠٠م .

[٢٠] علم أصول الفقه ، للدكتور/ محمد الزحيلي ، ط. دار القلم ، دبيّ ٢٠٠٤م .

[٢١] مباحث في أصول الفقه ، للدكتور/ إسماعيل بن إبراهيم الوزير ، ط. مركز التراث اليمني ، صنعاء ٢٠٠١م .

[٢٢] الإحكام في أصول الأحكام ، للإمام الآمدي ، ط. مؤسسة الحلبي ، القاهرة ١٩٦٧م .

[٢٣] الرسالة ، للإمام محمد بن إدريس الشافعي .

[٢٤] الوجيز في أصول الفقه ، للدكتور/عبد الكريم زيدان ، ط. مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٢٧هـ .

[٢٥] شرح رياض الصالحين ، للشيخ ابن عثيمين ، ط. دار السلام ، القاهرة ١٤٢٣هـ.

[٢٦] الأشباه والنظائر، للإمام السيوطي، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٣هـ.

[٢٨] كنوز من السُّنَّة ، للشيخ/ محمد الغزالي ، ط. دار ابن عفان ، السعودية، ١٩٩٦م .

[٢٩] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للحافظ الهيثمي، ط.دار الفكر، بيروت ١٤١٤هـ .

[٣٠] روائع البيان في تفسير آيات الأحكام ، للشيخ/ محمد عليّ الصابوني ، ط.دار الفكر، بيروت .

[٣١] منهج الشيخ ابن عثيمين في الدعوة إلى الله ، للأستاذ/ أيمن الصاوي ، ط. مكتبة ابن عباس .

[٣٢] صحيح وصايا الرسول ﷺ ، للشيخ/ سعيد يوسف أبو عزيز ، ط. المكتبة التوفيقية ، القاهرة .

[٣٣] ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، للأستاذ/ أبي الحسن الندوي ، ط. دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٤هـ .

[٣٤] الجامع لأحكام القرآن ، للإمام القرطبي ، ط. دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٦٥م .

[٣٥] السيرة النبوية ، للدكتور/ محمد محمد أبو شهبة ، ط. دار القلم ، دمشق ١٩٩٦م .

[٣٦] صحيح سُنن أبي داود ، للشيخ الألباني، ط.مكتبة المعارف ، الرياض ١٤٢١هـ.

[٣٧] عمر ففرٌخ في خدمة الإسلام ، للأستاذ/ أحمد العلاونة ، سلسلة الأمة ، عدد (١٠٢) .

[٣٨] الطريق من هنا ، للشيخ/ محمد الغزالي ، ط. دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٧م.

[٣٩] تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير ، ط. مكتبة أولاد الشيخ ، القاهرة .

[٤٠] الإيمان والحياة ، للدكتور/ يوسف القرضاوي ، ط. مكتبة وهبة ، القاهرة .

[٤١] القات السلوى والبلوى ، للأستاذ / محمد أحمد الرعدي ، ط. مؤسسة العفيف صنعاء .

[٤٢] المنهج الاقتصادي في التخطيط لنبي الله يوسف ، للدكتور نواف الحليسي ، ط. مطابع الأهرام ، القاهرة .

[٤٣] سُنن النسائي ، للإمام أحمد بن عليّ بن شعيب ، ط. دار ابن حزم، بيروت .

[٤٤] أحباب الله، للدكتور/عبد العظيم بن بدوي.ط. دار الكتاب المميز، القاهرة.

[٤٥] مُسند الإمام أحمد، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، ط. دار الفكر ، بيروت ١٤١٤هـ .

[٤٦] إحياء علوم الدين، للإمام /أبي حامد الغزالي ، ط. دار ابن الهيثم ، القاهرة.

[٤٧] فقه السُّنَّة ، للشيخ/ سيد سابق، ط. مؤسسة الرسالة ، بيروت .

[٤٨] العقوبة ، للشيخ/ محمد أبو زهرة ، ط. دار الفكر العربي ، بيروت .

[٤٩] صحيح سُنن ابن ماجة ، للشيخ/ الألباني ، ط. مكتبة المعارف ، الرياض .

[٥٠] هذا ديننا ، للشيخ/ محمد الغزالي ، ط. دار الشروق ، القاهرة ٢٠٠١ .

[٥١] نظريات الإعجاز القرآني ، للدكتور/ أحمد رحماني ، ط. مكتبة وهبة ، القاهرة ١٩٩٨م .
[٥٢] الإيمان أولاً ، للدكتور/ مجدي الهلالي ، ط. دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة .
[٥٣] الناسخ والمنسوخ، لأبي القاسم هبة الله بن سلامة، ط.مكتبة المتنبي، القاهرة.
[٥٤] صفحات مشرقة من التاريخ الإسلام ، للدكتور/محمد عليّ الصلابي ، ط. دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع بالأسكندرية ، ٢٠٠٦م .
[٥٥] العدالة الاجتماعية، للأستاذ/ سيد قطب ، ط. دار الشروق القاهرة ١٩٨٩م.
[٥٦] التحرير والتنوير ، للشيخ/ محمد الطاهر بن عاشور ،ط. دار سحنون ، المغرب.
[٥٧] التفسير الوسيط، للشيخ/ وهبة الزحيلي ، ط. دار الفكر المعاصر ، لبنان ٢٠٠١م.
[٥٨] في رحاب التفسير للشيخ/عبد الحميد كشك، ط.المكتب المصري الحديث.
[٥٩] سُبل السلام شرح بلوغ المرام ، للإمام الصنعاني ، ط. دار الفكر ، بيروت ٢٠٠٣م .
[٦٠] فتح القدير ، للإمام الشوكاني ، ط. دار الحديث القاهرة .
[٦١] أسباب النزول ، للإمام الواحدي ، ط. دار الفكر ، بيروت ٢٠٠١م .
[٦٢] محاسن التأويل ، للعلامة محمد جمال الدين القاسمي ، ط. دار الحديث، القاهرة ٢٠٠٣م .
[٦٣] الأدب الصغير،لابن المقفع، ط.جمعية العروة الوثقى، الإسكندرية ١٩١١م.
[٦٤] الفوائد ، للإمام ابن القيم ، ط. دار النفائس ١٩٩٨م .
[٦٥] سُنن الدارمي ، للإمام عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي، ط. دار المغني ، الرياض ١٤٢١هـ .
[٦٦] صحيح الجامع الصغير ، للشيخ الألباني ، ط. المكتب الإسلامي ، بيروت.
[٦٧] البعد الاقتصادي للأمن القومي ، للأستاذ/ مجدي الصبحي ، ط. معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية ١٩٩٣م .

فهرس

رقم الصفحة

المقدمة 5

المبحث الأول : شحنة نبوية لتفعيل المسلم نحو نفع إخوانه 11

المبحث الثاني : هل تدري معنى « أحب الخلق إلى الله ؟ » 19

■ ما قيمة حب الله تعالى للعبد 20

المبحث الثالث : ثمرات محبة الله للعبد 25

■ توجيه الأمر للملائكة بحب العبد الذي أحبه الله 25

■ كتابة القبول في الأرض للعبد الذي أحبه الله 27

■ تشريف العبد الذي أحبه الله 28

■ العون والتوفيق والحفظ والرعاية واستجابة الدعاء لمن أحبه الله 29

■ الأُنس وطرد الوحشة 30

المبحث الرابع : إحياء الواجبات الكفائية وأثره في نفع الأمة 33

أولاً : تعريف الواجب الكفائي 34

ثانيًا : أمثلة للواجب الكفائي 34

ثالثًا : حكم الواجب الكفائي 36

رابعًا : بيان أن الواجب الكفائي يُثاب عليه من قام به فقط 39

خامسًا : أهم المقاصد الشرعية في الواجبات الكفائية 40

المبحث الخامس : نفع الناس بالتعليم لمحو جهالتهم 43

■ أولاً : بالترغيب في تعليم الناس 43

■ ثانيًا : التحذير من عدم المشاركة في نفع الناس بالتعليم 47

المبحث السادس : نفع الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 53

المبحث السابع : نفع الناس بتوعيتهم وتصحيح المفاهيم لهم 59

المبحث الثامن : نفع الناس بالزرع والغرس 67

■ دعوة النبي ﷺ إلى نفع الناس بالزرع والغرس 72

■ حاجة الأمة إلى التنمية الزراعية 73



المبحث التاسع : نفع الناس بمواساتهم وإعانتهم في أمراضهم ٧٧

المبحث العاشر : نفع الناس بقضاء ديونهم والتجاوز عنهم ٨١

■ نماذج عملية للتجاوز عن المعسرين ٨٣

■ نداءٌ رفيق ٨٥

المبحث الحادي عشر : نفع الناس بستر عوراتهم ٨٧

■ حثٌّ المسلم على التستر في نفسه أولاً ٨٨

■ حث المسلم على ستر عورات المسلمين ٨٩

■ هتك جماعي لستر المؤمنات ٩١

المبحث الثاني عشر : نفع المسلمين بالدعاء لهم بظهر الغيب ٩٣

■ أحق الناس بالدعاء لهم بظهر الغيب : المجاهدون ٩٥

المبحث الثالث عشر : نفع الناس بإماطة الأذى عن الأماكن العامة ٩٧

■ قيمة إماطة الأذى عن الطريق والأماكن العامة ١٠١

المبحث الرابع عشر : نفع الناس بإقامة الحدود لتوفير الأمن لهم ١٠٣

المبحث الخامس عشر : نفع الناس بالإصلاح بينهم ١٠٩

المبحث السادس عشر : نفع الناس بدفع الظلم عنهم ١١٥

■ الأمة التي لا تنصر المظلوم لا تستحق النصر ١١٧

■ نصرة المظلوم من أعظم حقوق الأخوّة ١٢٠

■ واجب العلماء في دفع الظلم عن الناس ١٢٢

■ نداءٌ لكل ظالم ١٢٤

المبحث السابع عشر : نفع الناس بالشفاعة لهم ١٢٩

■ المسلم الضعيف في ظل انتشار الرشوة ١٣١

المبحث الثامن عشر : نفع الناس بحسن المعاملة ١٣٣

المبحث التاسع عشر : نفع الناس بكف الأذى عنهم ١٣٧

المبحث العشرون : عرض نتائج الدراسة الميدانية ١٤٣

■ الخاتمة ١٤٩

■ قائمة المصادر والمراجع ١٥٥

■ فهرس الموضوعات ١٥٩